المقالات الشرعية

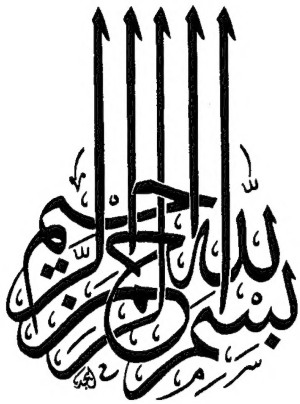
بسم الله الرحمن الرحيم

(المجموعة الأولى)

المقالات الشرعية

قدّم له

فضيلة الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن يحيى النجمي

وفضيلة الشيخ العلامة الفقيه زيد بن محمد المدخلي

حفظهما الله تعالى

تأليف

د. عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

أستاذ الحديث المساعد بكلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية

مكتبة المدينة العلمية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة المدينة العلمية
دولة الإمارات العربية المتحدة - المنطقة الغربية
مدينة زايد
هاتف: ٨٨٤٨٠٨٨ - ٠٠٩٧١٢
ص.ب: ٥٨٣٩٠

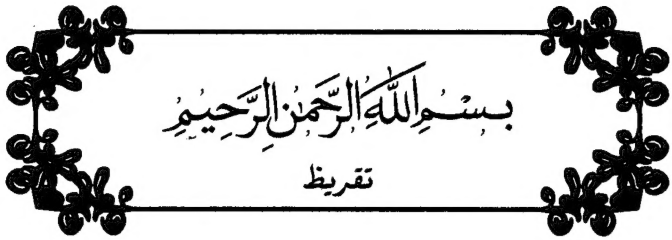

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد:

فقد أرسل إليّ الشيخ الدُّكتور/ عبدالله بن عبدالرحيم البخاري ـ وفَّقه الله وسدَّده ـ مقالات كتبها هي في نظري درٌّ، وغررٌ، فلقد وفّق في اختيارها، ووفّق في إعدادها.

فالمقالة الأولى منها عنوانها: مشاركة توجيهية لعلاج ظاهرة التكفير.

ولمّا كان الوقوع في ذلك ينبئ عن الجهل، وقلة العلم؛ جعل عنوان المقالة الثانية: هو فضل العلم تعلّماً وتعليماً، وشرف أهله.

ولمَّا كان العلم إذا لم يصحبه العمل؛ فإنَّه يكون وبالاً على صاحبه، ونكالاً عليه في الآخرة، جعل عنوان المقالة الثالثة: هو العمل بالعلم، وذمّ من لم يعمل به.

ولمّا كان طلب العلم يحتاج إلى تضحيةٍ، وبذلٍ، كتب في المقالة الرابعة: أن الله عزَّ وجلَّ قيَّض لحفظ شرعه ـ كما وعد في قوله جلّ مَن قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] ـ وهو ما قيل في أصحاب الحديث: أي ما قيل في وصفهم: بأنهم قومٌ فضَّلوا قطع المفاوز والقفار عن التنعُّم في الديار، وتلذذوا بالرّحل والأسفار في طلب الحديث، وجمعه من البوادي والأمصار، فلمّا جمعوا؛ دوّنوا ما

يكون مرجعاً للأجيال القادمة من الكتب، والأسفار.

ثم واصل المؤلف ـ وفقه الله ـ في المقالة الخامسة: أنَّ من الذَّب عن السنة الذَّب عن حملتها؛ الذين أفنوا أعمارهم في جمعها، وتدوينها، وتعلّمها، وتعليمها؛ وإنّ من نصرها نصر حملتها الذين دعوا إليها، وإلى العمل بها ممن جعلوهم غرضاً لألسنتهم، وأقلامهم؛ فسلَّطوا عليهم الاتهامات، ورموهم بالافتراءات: وأخبر أنّ نصرهم يعدُّ نصراً للشريعة التي حملوها، والسنَّة التي عُودُوا من أجل الالتزام بها، والدعوة إليها، فصاروا بذلك غرباء في الأوطان، ومحتقرون بين القرابة، والخلَّان، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ثم واصل المؤلف ـ وفَّقه الله ـ في المقالة الأخيرة، وهي السادسة: أن السبب في الغربة، هو شيوع الفتن، وكثرة المحن، وقلة العلم، واستحكام الجهل، الذي أخبر عنه النبيّ الكريم ـ ﷺ ـ أنه من أشراط الساعة، وعلامة قربها، كما في الحديث الذي رواه أنس في الصحيحين بلفظ: **«إنَّ من أشراط الساعة أن يقلَّ العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقلُّ الرِّجال حتى يكون لخمسين امرأة القيِّمُ الواحد»**.

وأخيراً: إنِّي لأظنُّ أنَّ الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم البخاري قد وفّق في جمع هذه المقالات، فدوَّن ما فيه إيقاظٌ للعقول النائمة، والقلوب الغافلة، ولذلك فإنِّي أنصح بقراءتها؛ لما فيها من الفائدة، وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

كتبه

أحمد بن يحيى النجمي

٢٦ / ٤ / ١٤٢٨ هـ

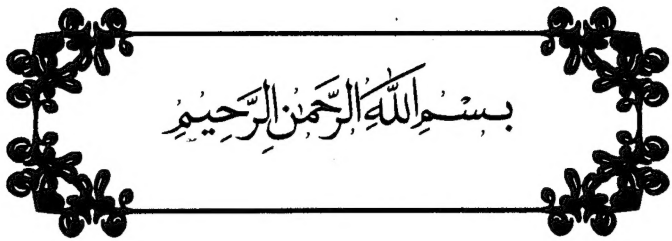

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد: فقد أرسل إليّ أخونا في الله الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحيم بن حسين البخاري بحثاً لأطلع عليه وأبدي رأيي فيه، والحقيقة أنَّ العرض من سنة السلف، وقد تمّ لي الاطلاع على البحث والاستفادة منه، وكان البحث سلسلة مقالات نافعة، إذ المقالة الأولى (مشاركة توجيهية لعلاج ظاهرة الفكر التكفيري فقد أجاد في هذه المشاركة وأفاد بما أورد من الأدلة الدالة على فساد المنهج التكفيري الذي تجلَّى في معتقد الخوارج القدامى والمعاصرين الجدد).

والمقالة الثانية والثالثة في بيان فضل العلم وأهله العاملين به وبيان علوّ منزلتهم في ميزان الشرع الشريف، وقد فصّل الباحث في هذا الموضوع تفصيلاً جلياً تتحرك منه الهمم فتقبله النفوس المطمئنة راغبة في المنافسة في التحصيل العلمي لتحرز ما شاء الله لها من ميراث النبوة الغالي لتعمل به وتعلمه وتصبر على الأذى فيه فتظفر بالأجر الكبير والخير الكثير من الله اللطيف الخبير.

وأما المقالة الرابعة ففيها بيان وإيضاح لقضايا مهمة:

منها الإشادة بالسلف الصالح أهل الرحلة في طلب العلم وتدوينه فتمكنوا هم وأتباعهم من تحقيق أمرين متلازمين، أحدهما: نصرة الحق بنصوص الكتاب والسنة، وثانيهما: ردّ الباطل وإزهاقه ليتضح للناس الصراط المستقيم من طرق أصحاب الجحيم، ومنها الذبّ عن عرض النبيّ المعصوم محمد ﷺ ممّا لا يجوز أن ينسب إليه أو أن يعد من خصائصه وليس من خصائصه ﷺ.

وأمّا المقالة الخامسة فقد تناول فيها إظهار الحق وأهله والذبّ عن الحق وحملته جملةً وتفصيلاً كما بيَّن وجوب احترام حملة ميراث النبوة ووجوب طاعتهم في المعروف وتوقيرهم ومحبتهم وبيان أنها من الدين وسواء في ذلك السابق واللاحق السائر على الأثر علماً وعملاً، وبجانب ذلك التحذير من معاداتهم وبغضهم وما يتعلق بذلك ممّا فيه منافاة لدين الإسلام أصلاً أو كمالاً كما عرّج في هذه المقالة على بيان غربة الدين الإسلامي وبيان أنّ المؤمنين فيه

غرباء وأنّ العلماء في المؤمنين غرباء وأنّ أهل السنة الناصرين لها والمميزين لها من الأهواء والبدع في العلماء غرباء، وأنّ الداعين إلى إحياء السنن والعمل بمقتضاها والصابرين على ما يلحقهم من أذى المخالفين لها أشدّ غربة، ثم ذكر أنواع الغربة إلى غير ذلك من الوصايا النافعة في هذه المقالة المفيدة المباركة كالتوصية بملازمة الحق بعد معرفته بأدلته ورفض الباطل وبيان ضرره وفساده بالأدلة وحسن الفهم كذلك.

كما ختم هذه المقالة بتطبيق النص الكريم: **«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»**، وذلك بما أبداه من الدفاع بالحق عن الشيخ العلّامة/ ربيع بن هادي عمير مدخلي الذي دوّن في كتبه كلمات الحق فاغتاظ منها مَن قلّ نصيبهم من العلم وابتلوا بالتقليد المضر والتعصب الذميم، وبجانب هذا الدفاع تحدث عن أخلاق السلف الصالح ومواقفهم الشريفة في نصرة السنة ومحبة أهلها وتأميرهم لها على أنفسهم، فسادوا بذلك وسقط أهل البدع والضلال بمخالفتهم للمحجة وردهم للحجة.

ولقد سرني استشهاد كاتب المقالات الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحيم البخاري على عناية الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي بالسنة الكريمة بأقوال عالمين جليلين معاصرين امتلأت الدنيا بمؤلفاتهما العظيمة وطار صيتهما في الآفاق القريبة والبعيدة ألا وهما: الإمام العلّامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ والإمام العلّامة الفقيه الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ فلقد سئل كلّ منهما عن الشيخ ربيع بن هادي المدخلي فأفادا بما أملاه كاتب المقالات من أقوالهما في هذه المقالة فاقرأه أيها القارئ قراءة منصف ودع مقالة كلّ قادح في أهل السنة فإن القادح في أهل السنة ظلوم ومسرف.

وأمّا المقالة السادسة وهي الأخيرة، فقد بيَّن فيها كاتب المقالات وفقه الله لما فيه رضاه سبب انتشار الفتن ألا وهي قلة العلم أو ذهابه بموت أهله وفشو الجهل الذي هو مصدر الشقاء والردى، وعرّج بالكلام على الخوارج المارقين الذين ذرّ قرنهم في هذا العصر وابتليت بهم بلدان العالم عموماً والمملكة العربية السعودية خصوصاً وما فتنة القرن الخارجي الذي طلع في الأسبوع المنصرم في المملكة العربية السعودية فقطعه الله عن الأذهان ببعيد وذكّر القراء بأنه ما ابتدع عالم بالله وبأمره قط، ولكنه استفتى مَن ليس بعالم فأفتى بغير علم فضلّ وأضل كما ذكّر القراء أن سبب كثرة البدع والأهواء راجع إلى قلة العلم وكثرة الجهل.

وختم كاتب المقالات سدّده الله بحثه بالرد على شبهات فهمها الخوارج الجدد من نصوص صحيحة ظنوا أنها تدل على جواز الخروج على الولاة في الجزيرة العربية كحديث: **«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»** الحديث، وما في معناه واستوفى البحث في رد هذه الشبهة ووفاه حقه بما لا مزيد عليه في بحث مختصر كهذا، والله أعلم.

قاله راجي عفو ربه
زيد بن محمد بن هادي المدخلي ١٤٢٨/٤/١٩

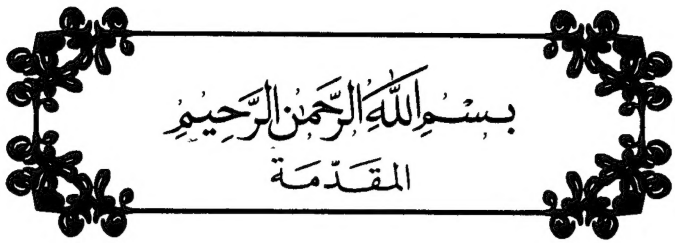

إنَّ الحمد للَّه نَحمدُه ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادي لَه، وأَشهدُ أن لا إِلٰه إلاَّ الله وحْدَه لا شَريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنَّ محمَّداً عَبْدُه ورَسولُه ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أمّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلّم، وشر الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

ثم أمّا بعد:

فلا يخفى على عاقلٍ مُدركٍ ما للعلم وأهله من فضلٍ ومكانةٍ في

الشَّرع الحنيف؛ إذ «الإنسانُ خُلقَ ظلوماً جهولاً، فالأصلُ فيه عدم العلم، وميلُه إلى ما يهواه من الشَّرِّ، فيحتاجُ دائماً إلى علمٍ مُفصَّلٍ يزولُ به جهله، وعدلٌ في محبَّته وبغضه ورضاهُ وغضبه، وفعله وتركه وإعطائه ومنعه، وكل ما يقولهُ ويعملهُ يحتاج فيه إلى عدلٍ ينافي ظلمه، فإن لم يمنّ اللَّهُ عليه بالعلمِ المفصَّل والعدلِ المفصَّل، وإلاَّ كان فيه من الجهل والظُّلم ما يخرجُ به عنِ الصِّراط المستقيم» قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «قاعدة في أنواع الاستفتاح في الصلاة» (ص٤٠).

فمن رامَ الفلاحَ والنجاحَ في تحصيل فضل العلم واللحاق بركاب أهله وحملته؛ فعليه بسلوك سبيل المؤمنين في العلم والعمل، واجتناب سبل الغاوين في العلم والعمل، فإنَّ «أعلى الهمم في طلب العلم: طلب علم الكتاب والسُّنة، والفهم عن الله ورسوله نفس المراد وعلم حدود المنزل» قاله ابن القيم في «الفوائد» (ص٦٠).

وقد أوصاكَ ـ يا باغي الخير ـ الإمامُ ابنُ القيِّم في «الفوائد» (ص٧٣) وصيةً نافعةً ناجحةً ـ إنْ أخذتَ بها ـ في اجتناب مسالك أهل الغواية فقال: «اجتنب مَنْ يُعادي أهل الكتاب والسُّنة لئلاَّ يُعديكَ خُسرانهُ».

صدَقَ وبرَّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في هذه العبارةِ المختصرَة الجامعةِ المانعةِ؛ إذ الأمرُ كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ، فكم الَّذين يُعادون أهل الكتاب والسُّنة الملتزمين بهما الدَّاعين إليهما؟ كثيرٌ جداً ـ لا كثَّرهم الله ـ، ومِنْ أشدِّهم فَتْكاً وأعظمهم جُرماً من ينتَسبُ إلى العِلم الشَّرعي!! ويُسمَّون بالعُلماء! وقد يكون بعضهم كذلك؛ لكنَّهم في الحقيقة: عُلماء سُوء، وهم قُطَّاع طَريق الحقِّ عن الرَّاغبين فيه، فكم لبَّسوا على النَّاس دينهم، وشكَّكوهم في عقائدهم وعباداتهم؟ فإلى الله المشتكى مِنْ غُربة الحقِّ وأهله.

وفي أولئك يقول الإمام ابن القيّم في «الفوائد» (ص٦٠): «عُلماء السوء جلسوا على باب الجنَّة يدعون إليها النَّاس بأقوالهم، ويدعون إلى النَّار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا

منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصُّورة أدلاء وفي الحقيقة قُطاع الطرق».

وهذا منهم نتجَ عن بُعدهم عن منهج النُّبوة المعصوم، واتباعهم نفث الشّيطان وهمزه ونفخه وسُبله.

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الرسالة التَّبوكية» (ص٧٦): «ومن تدبَّر العالم والشُّرور الواقعة فيه علمَ أنَّ: كلَّ شرٍّ في العَالم سَببهُ مخالفة الرَّسول - ﷺ - والخروج عن طاعتهِ، وكلَّ خَيرٍ في العالم فإنَّه بسببِ طاعة الرَّسولِ - ﷺ -.

وَكَذلك شُرور الآخرة وآلامها وعَذابها إنَّما هو من مُوجباتِ مخالَفةِ الرَّسول - ﷺ - وما يَترتَّبُ عَليه».

فاعرف هذا الميدان؛ فإنَّه لا يطيش، وتمسَّك به تنجو وتُفلح، فقد نصحتُك، والله الموعد!

وينظر «المحجَّة في السَّير في الدُّلجة» للحافظ ابن رجب الحنبلي (ص٥٢، ٥٦، ٧٣ - ٧٥).

وبعدُ:

فبين يديكَ أخي القارئ الكريم مقالات عدَّة كتبتُها منذ أمدٍ ونُشرت عبر الشَّبكة العنكبوتية «الإنترنت» في موقعِ «شبكة سحاب السَّلفية» وفَّق الله القائمين عليها لكلِّ خير، ورغبتْ دور نشرٍ عدَّة من داخل المملكة العربية السُّعودية وخارجها في نشرها لما رأوا فيها من الفائدة لعامَّة الأمَّة وخاصَّتها، وتأمّلتُ هذا الطَّلب كثيراً واستخرت الله تعالى فيه، فرأيتُ الموافقة في نشرها بعد إعادة النَّظر فيها ومِنْ ثَمَّ عَرْضِهَا عَلَى عَدَدٍ مِنْ عُلماء أهل السُّنة السَّلفيين؛ لأنَّ العَرَض سُنَّة مَنْ سلفَ.

قال الحافظ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٦٣هـ): «لا يضعُ من يده شيئاً من تصانيفه إلاَّ بعد تهذيبه وتحريره، وإعادة تدبُّره وتكريره»، «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ص٤٢٨ ط عجاج)، وينظر «إرشاد طلاب الحقائق»

للنووي (١/ص٥٢٧)، و«فتح المغيث» للسخاوي (٣/٣٣٠ ـ ط علي حسين).

وإنَّ منْ فضل الله ومِنَّته أنْ تمَّ الأمر ولله الحمدُ، فأرسلتُ المقالات إلى جمعٍ من علمائنا ومشايخنا المشهود لهم بالرُّسوخ في العلم والسَّابقة في الفضل، ونصرة الحقِّ وأهله والدِّفاع عن السُّنة وحملتها، وهم:

١ ـ شيخنا العلاَّمة المحدث الفقيه مفتي جنوب المملكة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي، حفظه الله ورعاه، وسدَّده وأعانه.

٢ ـ شيخنا العلاَّمة المحدث المجاهد النَّاقد ربيع بن هادي المدخلي، حفظه الله ورعاه وأعانه وسدَّده.

٣ ـ شيخنا العلاَّمة الفقيه الأصولي زيد بن محمد بن هادي المدخلي، حفظه الله ورعاه وأعانه وسدَّده.

والمقالات المرسلة إليهم عددُها ستّ، وهي:

١ ـ مشاركة توجيهية لعلاج ظاهرة الفكر التكفيري.

٢ ـ العلم فضله وشرف أهله.

٣ ـ العمل بالعلم.

٤ ـ سلسلة الذَّب عن سنَّة رسول الله ﷺ، وفيها ثلاث مقالات:

الأولى منها: ردُّ دعوى خصيصة مزعومة للنبي ﷺ.

الثانية: الدفاع بالحقِّ عن أحد حملة السُّنة وحماتها، وهو شيخنا العلامة ربيع بن هادي.

الثالثة: بيان الفهم الصحيح لحديث: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»، والرَّدِّ على فهم الخوارج له.

وأولُّ من أرسلت إليه هو شيخنا العلاَّمة ربيع بن هادي حفظه الله، فقرأها كاملةً وأثنى عليها خيراً ورأى نشرها.

والحقُّ يقال: النُّسخة التي أرسلتُها له ليَقرأَهَا، أعادها إليَّ الشيخُ

حفظه الله وفيها تعليقٌ له على أبيات ذكرتُها للأمير الصنعاني في الثناء على الإمام محمد بن عبدالوهاب، ورأيتُ مناسبتها في المقال المتعلِّق بالدِّفاع عن الشَّيخ، فعلَّق حفظه الباري بقوله: «تُحذف»، وطَلَبَ حَذفها، إلاَّ أنَّني رأيتُ إبقائها لمناسبتها المقام.

ثم أرسلتُ للشيخين الفاضلين العالمين العلاَّمتين: شيخنا أحمد بن يحيى النجمي، وشيخنا زيد بن محمد المدخلي حفظهما الله تعالى، فنظرا فيها وكتبا تقريظاً لها أرفقته بهذا المجموع، فالله أسأل أنْ يجزيهم عني وعن المسلمين خير الجزاء وأوفاه، وأن يبارك لنا في أعمالهم وأعمارهم، ويوفقهم لكلِّ خير، ويجعلهم ذخراً للسُّنة وأهلها، وأن ينصر بهم الحقَّ وأهله إنَّ ربِّي لسميع الدُّعاء.

وسمَّيت هذه المجموعة من المقالات بـ«**المقالات الشرعية**»، وهي «المجموعة الأولى»، وتليها بإذن الله تتمات.

أسأل الله العون والتَّسديد، ثم إنَّني أسأله سبحانهُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى أن ينفعني بها في الأولى والآخرة، وينفع بها كلَّ من قرأها ونظر فيها، وأعان عليها، وأن يجعلها لوجهه خالصة، إنَّه سميع مجيب، وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ

المدينة النبوية ـ قباء

في ١٢/٥/١٤٢٨هـ

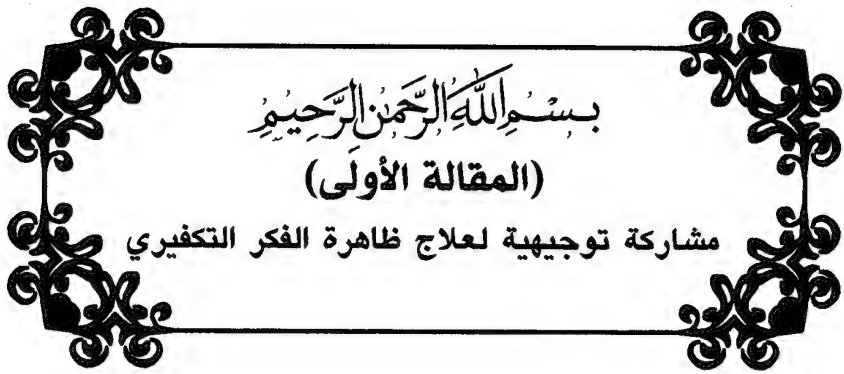

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقالة الأولى)

مشاركة توجيهية لعلاج ظاهرة الفكر التكفيري

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فقد طلبت مني إحدى الصُّحف المحلية السُّعودية عام **١٤٢٣**هـ تقريباً، أن أشارك معهم في الكتابة عن مرئياتي في أسباب «علاج ظاهرة الفكر التكفيري» وانجراف الأحداث الأغمار خلف تلك الأفكار! فكتبت في ذلك كتابة ورغبت أيضاً أن تنشرَ عبر «الشبكة العنكبوتية»!، وكان مما كتبته أنْ قلتُ:

إنَّ بيان الحقِّ للخلق هو مهمَّة الرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، فمَنْ أرادَ أن يسلكَ سبيلهم فلا بدَّ أن يسير على طريقتهم ومنهاجهم في بيان الحقِّ للخلق، ونحن بفضل الله ـ عزَّ في عُلاه ـ أمَّة مرحومة محكومة بشرعٍ مطهَّرٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومنَ المتقرِّر لدى أهل الحقِّ من أهل العلم: أنَّ هذا الدين قام على أمرين اثنين:

أولهما: بيان الحقِّ.

ثانيهما: الردُّ على الباطل وأهله.

وتقرير هذا يظهر للمتأمل في لفظ كلمة التوحيد بجلاء! وبيانه:

قول العبد: «لا إلٰه»، ردٌّ على الباطل وأهله الذين قالوا بألوهية غير الله.

وفي قوله: «إلا الله»، إثباتٌ للحقِّ وبيان له؛ وهو أنَّ الألوهية لله وحده لا شريك له فهو المستحق لها دون سواه.

وهكذا في قرينتها «محمدٌ رسول الله»: إثباتٌ لرسالة النبي ﷺ، وردٌّ على مَن نزَّله منزلة أعلى من ذلك فألهه! أو حطَّ من منزلة نبوته ورسالته؛ لذا كان ميزان الشرع ميزانٌ لا يطيش، لا وكس فيه ولا شطط:

والشرعُ ميزانُ الأمور كلها وشاهدٌ لفرعها وأصلها

وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ توجيه الشباب، بل الأمَّة جميعاً يجبُ أن يقوم به مَنْ كان أهلاً لذلك مستجمعاً الآلية والأهلية! وأعني بهم: أهل العلم، وأئمة الهدى، أمَّا أن يتدخَّل في توجيه الأمَّة مَنْ ليس أهلاً لذلك: فإنَّه يُفسد أكثر مما يُصلح، وقديماً قيل: «فاقدُ الشيء لا يعطيه»!

ومن هنا أُنبِّه وألفت النظر إلى أمورٍ مُهمَّة في هذا الباب، فأقول مستعيناً بالله:

أولاً: وجوب ارتباط الأمَّة جميعاً بعلمائها الرَّبانيين، المشهود لهم بالخيرية والاستقامة والإمامة والنُّصح للأمَّة الذين يُعلِّمون صِغَارَ العِلْمِ قَبْل كبارِهِ، ولا بدَّ من إظهار مكانتهم بين الناس؛ ذلك أنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء كما جاء بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ عند أبي داود (٤/ رقم ٣٦٤٢) وغيره ـ حسَّنه حمزة الكناني كما في «الفتح» (١/ ١٦٠)، والعلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ حاشية ح رقم ٧٠/ص ١٣٩) ـ، ولهم من الحقوق مثل ما لمورثهم صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٣ ـ ٦٨) شارحاً الحديث المشار إليه قبلُ: «فهذا من أعظم المناقب لأهل العلم؛ فإنّ الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولمَّا كان كل مورث ينتقل

ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه مِنْ بعده، ولم يكن بعد الرسل مَنْ يقومُ مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء؛ كانوا أحق الناس بميراثهم.

وفي هذا تنبيهٌ على أنَّهم أقرب الناس إليهم فإن الميراث إنما يكون لأقربِ الناس إلى الموروث، وهذا كما ثبت في ميراث الدنيا والدراهم فكذلك هو في ميراث النُّبوة، والله يختص برحمته من يشاء.

وفيه أيضاً أمرٌ للأمَّة بطاعتهم واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم؛ فإنهم ورثة مَن هذه بعض حقوقهم على الأمَّة وخلفاؤهم فيهم.

وفيه تنبيه على أنَّ محبتهم من الدين وبغضهم منافٍ للدين كما هو ثابتٌ لموروثهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله، كما هو في موروثهم، قال عليٌّ ﷺ: محبَّة العلماء دينٌ يدان به»، انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأسند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩٦/١٣) عن أبي قلابة الجرمي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «مثلُ العلماء مثل النجوم التي يُهتدى بها، والأعلام التي يقتدى بها، إذا تغيَّبت عنهم تحيَّروا وإذا تركوها ضلُّوا».

ثانياً: تمكين أهل الحقِّ من العلماء وطلاب العلم المؤهَّلين من بيان الإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي ﷺ وسار عليه أصحابه الكرام وأئمة الدين؛ وأن لا يتصدَّر لهذا مَن فقد شرط الأهليَّة والآلية! فإنَّ هذا يفسد أكثر مما يصلح!

قال العلامة ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الدرر الغالية في أدب الدعوة والداعية» (ص١٤ ـ ١٥): «ومن الدَّعوة إلى ظهور المسلمين أفراداً وجماعات بما في دينهم مِنْ عِفَّةٍ وفضيلةٍ وإحسانٍ ورحمةٍ وعلم وعملٍ وصدقٍ وأمانةٍ، فذلك أعظم مُرغِّبٍ للأجانب في الإسلام، كما كان ضدُّه أعظمُ مُنفِّرٍ لهم عنه، وما انتشر الإسلام أوَّل أمره بين الأمم إلا لأنَّ الداعين إليه كانوا يدْعون بالأعمال كما يدعون بالأقوال، وما زالت الأعمال عياراً على الأقوال»، انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثالثاً: التحذير الصَّريح من التَّوَجُّهات الفكرية المنحرفة عن منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنَّ هذا من باب بيان الباطل والرَّدِّ عليه والتحذير منه ومن دعاته ومُنظِّريه، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

أمَّا التساهل في هذا الباب فإنَّه يفضي إلى فتح باب شرٍّ عظيم على الأمة، فتتوالد الأفكار والنحل المنحرفة! وكما قيل: «من أمنَ العقوبة أساء الأدب»!

رابعاً: إشغال أوقات الفراغ ـ وبخاصة الشباب ـ وغيرهم، بالنافع المفيد، قال صلَّى الله عليْهِ وآلِهِ وسلَّم: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**»، متفق عليه.

قال العلَّامة المُسْنِدُ محمد بن عبدالباقي السَّلمي (ت٥٣٥هـ): «ما أعلم أني ضَيَّعتُ ساعةً من عمري في لهوٍ أو لعبٍ»، «سير أعلام النبلاء» (٢٦/٢٠).

وجاء في ترجمة عبدالوهاب بن عبدالوهاب بن الأمين في كتاب «معرفة القراء الكبار» (٤٦٥/٢) أنَّ أوقاته كانت محفوظة، فلا تمضي له ساعة إلا في قراءة أو ذكر أو تهجُّد أو تسميع.

ونقل العسكري في «الحث على حفظ العلم» (ص٤٧) عن العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله: «أثقل الساعات عليَّ ساعةً آكل فيها!»، وهذا من تمام خشيتهم على ضياع الوقت رحمهم الله، وعليه فمن لم يشغل وقته بالنافع المفيد شُغل بالضار الطالح!

وفي ختام هذه الكلمات أسأل الله التوفيق للجميع، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه:

عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ

المدينة النبوية/فباء

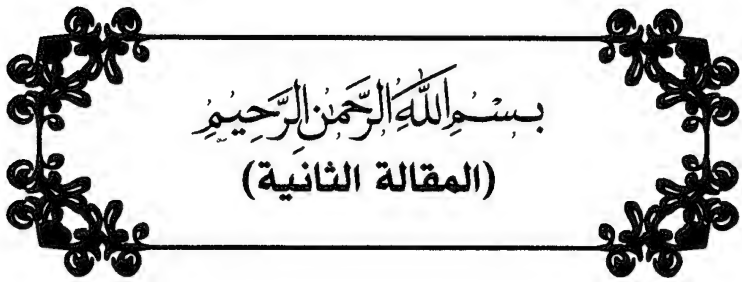

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

أمَّا بعد:

فإنَّ الله عزَّ في علاه قد بيَّن لنا في كتابهِ **فضل العلم وشرف أهله**، وجاءت النُّصوص النَّبوية على صاحبها أفضل صلاة وأزكى سلام تؤكِّدُ ذلك وتُرغِّب فيه؛ فانطلاقاً من الرَّغبة في المشاركة في نشر الخير والدَّلالة عليه، حرصت على تذكير الإخوة بهذا الأمر المهم وشَحْذ هِمَمِهم؛ فيشمِّروا عن ساعد الجدِّ؛ لِيَنْتَفِعُوا ويَنْفَعُوا وَيَرْتَفِعُوا بحول الله وتوفيقه.

ثم إِنَّنِي سَأُثَنِّي - بمشيئة الله تعالى - في كتابة أُخْرَى بِأَمْرٍ ثَانٍ لَهُ صِلة لا تَنْفكُ أبداً عن العِلْم! ألا وَهُو: العَمَلُ بِالعِلْمِ!؛ لِيَكْتَمِلَ نَظْمُ الْمَقْصُودِ وَيَحْصل الْمُراد بحولِ الله وقُوَّتِهِ.

فَأبدأُ فيما قَصَدْتُه ومن الله العون والتَّوفيق؛ فأقول:

وردت نصوص كثيرة في كتاب الله ﷻ تدلُّ على فضل العلم وشرف أهله؛ فَمِنْها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

قال شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (٥٢/١): «عدَّد سُبحانه نعمهُ وفضْلهُ على رسوله ﷺ، وجعلَ مِنْ أجلِّها: أنْ آتاهُ الكتاب والحكمةَ وعلَّمه ما لم يكنْ يعلم».

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٥٦١/٣): «أي إنَّما يخشاه حقَّ خشيتهِ العلماء العارفونَ به؛ لأنَّه كُلَّما كانت المعرفة للعظيم القديرِ العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كُلَّما كانت المعرفة به أتمّ، والعلم به أكمل كانت الخشيةُ له أعظم وأكثر».

وقال العَلَّامَةُ عَبْدالرَّحمٰن السعدي في «تيسير الكريم الرحمٰن» (ص٧٥١ ـ ط دار ابن حزم) عند تفسير هذه الآية: «فكلُّ مَن كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء مَنْ يخشاهُ، وهذا دليلٌ على فضيلة العلم، فإنَّه داعٍ إلى خشية الله، وَأَهْلُ خَشْيَتِهِ هم: أهل كرامتهِ كما قال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾».

٣ ـ قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

قال العلَّامة القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع لأحكام القرآن» (٤١/٤) عند هذه الآية: «هذه الآيةُ دليلٌ على فضلِ العلم وشَرَفِ العلماء؛ فإنَّه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم اللَّهُ باسمهِ واسمِ الملائكة كما قرنَ العلماء».

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٤٢٤/٣): «أيْ ما يفْهَمها

ويتدبرها إلاَّ الرَّاسخونَ في العلم المتضلِّعون منه، ـ ثم ذكر أن ابن أبي حاتم ساق بسنده ـ عن عمرو بن مرَّة قال: ما مررتُ بآيةٍ من كتاب الله لا أعرفها إلاَّ أحزنني؛ لأنَّني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾».

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (٥١/١): «أخبر سبحانه عن أمثاله التي يضربها لعباده، يدلهم على صحَّة ما أخبرَ به: أنَّ أهل العلم هم المنتفعونَ بها المختصُّون بعلمها، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، وفي القرآن بضعة وأربعون مثلاً، وكان بعض السَّلف إذا مرَّ بِمَثَلٍ لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين».

٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة: ٤].

قال الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٥٥/١): «إنَّ الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرمُ أكلُها! وأباحَ صيد الكلب المعلَّم، وهذا مِنْ شَرَف العلم أنَّه لا يباحُ إلا صيد الكلب العالم، وأمَّا الكلب الجاهل فلا يحلُّ أكل صيده؛ فدلَّ على شرف العلم وفضله، ولولا مزية العلم والتعليم وشرفه كان صيد الكلب المعلَّم والجاهل سواء».

والنصوص مِنْ آي الذكر الحكيم كثيرة كما تقدَّم، ولعلَّ القَدْر المنقول كفاية، والله الموفِّق.

وأمَّا النُّصوص النَّبوية عنه ﷺ، فهي كثيرة أيضاً فأكتفي بذكر بعضها، وهي تدل على غيرها أيضاً؛ فمِنْها:

١ ـ ما أخرجه الشيخان في «صحيحيهما»، «البخاري» (١/رقم ٧١/ص ١٦٤ ـ فتح)، «مسلم» (١٢٨/٧ ـ نووي)، عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُردِ الله به خيراً يُفقِّهه في الدِّين، وإنَّما أَنَا قَاسِمٌ واللَّهُ**

يُعْطِي، ولَن تَزال هَذِهِ الأُمَّة قَائمة عَلى أمر الله لا يَضرُّهم مَنْ خَالفهم حتَّى يَأْتي أَمْرُ الله».

قال الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/٦٠): «هذا يدل على أن مَن لم يفقه في دينه لم يرد به خيراً كما أنَّ من أراد به خيراً فقهه في دينه، ومَن فقه في دينه فقد أراد به خيراً؛ إذا أُريد بالفقه العلم المستلزم للعمل، وأمَّا إن أُريد به مجرد العلم فلا يدل على أنَّ من فقه في الدين فقد أُريد به خيراً؛ فإن الفقه حينئذٍ يكون شرطاً لإرادة الخير، وعا ن موجباً، والله أعلم».

وقال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (١٢٨/٧): «فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحثُّ عليه وسببهُ أنَّه قائد إلى تقوى الله تعالى».

٢ ـ وأخرج الشيخان أيضاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: **«لأنْ يهديَ الله بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النَّعَم»**، «البخاري» (٧/رقم ٣٧٠١ ـ فتح)، «مسلم» (٤/رقم ٣٤٠٦/ ١٨٧ ـ ط عبدالباقي).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (١/٦٢): «هذا يدلُّ على فضل العلم والتعليم، وشرف منزلة أهله، بحيث إذا اهتدى رجلٌ واحدٌ بالعالم كان ذلك خيراً لَه من حمر النعم؛ وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظَّنُّ بمن يهتدي به كل يومٍ طوائف من الناس».

٣ ـ ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (١/ رقم ٨٢/ ١٨٠ ـ فتح) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائمٌ أُوتيتُ بقدح لبنٍ فشربتُ حتى إني لأرى الري يخرجُ في أظفاري، ثم أَعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب»**، قالوا: فما أولتهَ يا رسول الله؟ قال: **«العلم»**.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (١/ ص١٨٠): «قال ابن المنير: وجه الفضيلة للعلم في الحديث مِنْ جهةِ أنَّه عبَّرَ عن العلم بأنَّه فضلة النبي ﷺ ونصيبٌ مما آتاهُ الله، وناهيكَ بذلكَ».

وقال أيضاً في (٧/ص٤٦): «ووجه التعبير بذلك من جهةِ اشتراك اللبن والعلم في كثرة النَّفعِ، وكونهما سبباً للصلاحِ؛ فاللبنُ للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي».

٤ ـ ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٣/ رقم ١٦٣١/ ١٢٥٥ ـ ط عبدالباقي) وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إلاَّ مِنْ صَدقةٍ جَاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو لَه»**.

٥ ـ ما خرَّجه ابن ماجه في «سننه» (١/ رقم ٢٤١/ ٨٨)، وصحَّحه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ رقم ٢٦/ ١٠٠)، وكذا الألباني في «صحيح الترغيب» (١/رقم ٧٩/ ١٤٣) عن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير ما يُخلِّفُ الرجل مِنْ بعده ثلاثٌ: ولدٌ صالحٌ يدعو لَه، وصدقةٌ تجري يبلغهُ أجرها، وعلمٌ يُعملُ به من بعده»**.

قال الحافظ النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٨٥/١١): «قال العلماء: معنى الحديث: أنَّ عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدُّد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبهِ، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيفٍ، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف.

وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولدٍ صالحٍ، وفيه دليل لصحة أصل التوقيف، وعظيم ثوابهِ، **وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنَّه ينبغي أن يختارَ من العلوم الأنفع فالأنفع**، وفيه أنَّ الدعاء يصل ثوابهُ إلى الميت، وكذلك الصَّدقةَ وهما مجمعٌ عليهما».

ومما أُثر عن السَّلف رضي الله عنهم:

١ ـ ما ذكره النووي في «المجموع» (٤١/١) عن علي ﷺ أنَّه قال: «كفى بالعلم شرفاً أن يدَّعيه مَنْ لا يُحسنهُ، ويفرح به إذا نسبَ إليه، وكفى بالجهلِ ذمّاً أنْ يتبرأَ منهُ مَنْ هوَ فيه».

٢ ـ وقال البُخاري في «صحيحه» (كتاب الفرائض/ باب تعليم الفرائض) (١٢/ باب رقم ٤/٢ ـ فتح) قال عقبة بن عامر ﷺ: «تعلموا قبل الظَّانين»، قال البخاري شارحاً قول عقبة: «يعني الذين يتكلمون بالظّنِّ».

قال النووي شارحاً قول البخاري: «معناه: تعلموا العلمَ مِنْ أهله المحقِّقين الورعينَ قبلَ ذهابهم ومجيء قوم يتكلمون في العلمِ بمثل نفوسهم وظنونهم التي ليس لها مستندٌ شرعيٌّ»، «المَجموع» (٤٢/١).

وذكر الحافظ ابن حجر عدَّة وجوه في معنى أثر عقبة ﷺ، ومنها: «وقيل: مراده قبل اندراس العلم وحدوث مَنْ يتكلَّم بمقتضى ظنِّه غير مستندٍ إلى علمٍ».

٣ ـ قال سهل بن عبدالله التستري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أحدثَ أحدٌ في العلم شيئاً إلاَّ سئل عنه يوم القيامة؛ فإنْ وافقَ السُّنَّة سَلِمَ وإلا فهو العطب»، «جامع بيان العلم» (١٠٨٥/٢).

٤ ـ قال صالح بن مهران الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ صاحب صناعةٍ لا يقدرُ أنْ يعملَ في صناعتهِ إلاَّ بآلةٍ، **وآلةُ الإسلام: العلم**»، «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢١٦/٢).

٥ ـ قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يصير العلمُ جهلاً، والجهلُ علماً»، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٦/١٥).

٦ ـ جاء في ترجمة أحمد بن علي بن مسلم الأبَّار الحافظ الفقيه (ت٢٩٠هـ) من «سير أعلام النبلاء» (٤٤٤/١٣): «قال جعفر الخُلدي: كان الأبَّارُ من أزهد الناس، استأذنَ أُمَّهُ في الرِّحلة إلى قتيبة، فلم تأذن لَه، ثم ماتت، فخرجَ إلى خراسان ثم وصل إلى بلخ وقد مات قُتَيبةُ، فكانوا يُعزُّونهُ على هذا، فقال: **هذا ثمرةُ العلم، إنِّي اخترتُ رضَى الوالدة**»!! وينظر «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٦٣٩/٢).

٧ ـ أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٥/١٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٢/٥) بإسنادٍ صحيح عن أبي مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

«العلماء ثلاثة: رجلٌ عاش بعلمه وعاش به الناسُ معه، ورجلٌ عاشَ بعلمه ولم يعش به أحدٌ غيره، ورجلٌ عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه».

ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا، أنَّ الأول عَلِمَ فعَملَ وعلَّمَ، وأمَّا الثاني فعلمَ وعملَ ولم يُعلِّم، وأمَّا الثالثُ فعلمَ وعلَّمَ ولم يعملْ! نسأل الله الثبات والعافية.

فتأمل أخي: هذه النصوص والآثار بتمعنٍ ودقَّةٍ! واستعن بالله وأخلص في تحصيل العلم، وخذه عن أهله، وإيَّاكَ أنْ تحدثَ في العلم شيئاً خلاف السنَّة، فما أكثر مَنْ تكلَّم في العلم وهو مخالفٌ للسُّنَّةِ!! فاحذر أنْ تكون كذلك، فقد نصحتكَ، والله الموعد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ

المدينة النبوية/قباء

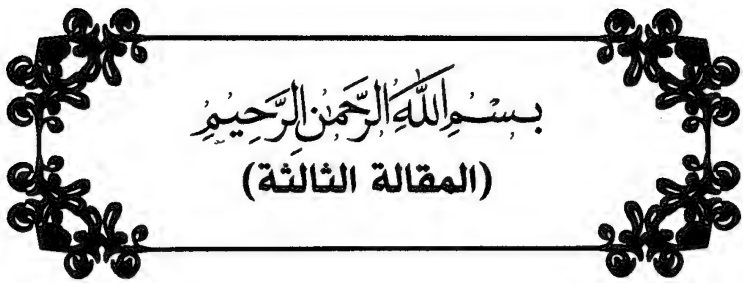

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد سبق أنْ أشرتُ أنَّني سأثني بكتابة في (العمل بالعلم)، فهذا إيفاء بالوعد السَّابق، وحسبي في هذا المقال ذكر ما تمس إليه الحاجة وقلَّ التذكير به من أقوال السَّلف في الباب، والله المسؤول أن ينفع الجميع بها، إنَّه نعم المولى ونعم النصير.

وهذا أوان الشروع في المقصود؛ فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إنَّ الله عزَّ في علاه قد ذمَّ مَنْ لم يعمل بما علمه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وكان النبي ﷺ يقول: «**اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنْ عِلمٍ لا ينفَع، ومِنْ قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجابَ لها**»، خرَّجه مسلمٌ في «الصحيح» (٤/ رقم ٢٧٢٢/ ٢٠٨٨ ـ ط عبدالباقي) وغيره.

فمَنْ رَامَ السَّعادة والنَّجاة في الدَّارين فَلْيَعْمل بِمَا عَلِمَ؛ قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والناس في العلم طبقات، موقعهم من

العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحقٌّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصَّبر على كلِّ عارضٍ دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه، نصّاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه؛ فإنَّه لا يُدركُ خيرٌ إلا بعونه، فإنَّ مَن أدرك علمَ أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووفَّقه الله للقول والعمل بما عَلمَ منه، فازَ بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيب، ونوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة»، «الرسالة» (رقم ٤٤، ٤٥، ٤٦/ ص١٩).

ومن أقوال أئمة الهدى ومصابيح الدُّجى في هذا المقام:

١ ـ ما أخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم» (رقم ١٧) عن أبي الدرداء ﷺ قال: «لا تكونُ عالماً حتى تكون مُتعلِّماً، ولا تكونُ بالعلمِ عالماً حتى تكون به عاملاً».

٢ ـ ما أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (ص٢٠١)، وابن المبارك في «الزهد» (رقم ١٤٣٨/ ٥٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/٢٩٢) من طرقٍ عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «قولوا خيراً تعرفونَ به، واعملوا به تكونوا من أهله، ولا تكونوا عُجُلاً مذاييعَ بُذُراً».

المذاييع: جمع مذياع، وهم الذين يشيعون الفواحش، أو الذين لا يكتمون سراً، والبُذُرُ بضمتين، جمع بذور، والبذير: من بَذر الكلام بين الناس إذا أفشاه، ويطلق على النَّمام ومَن لا يستطيع كتم سره.

قال الإمام الدارمي بعد أن روى أثراً عن علي ﷺ بنحو أثر ابن مسعود ﷺ، قال: «المذاييعُ البُذُر: كثير الكلام»، «السنن» (رقم ٩٨/٢٦٤ ـ باب العمل بالعلم وحسن النية فيه).

٣ ـ ما أخرجه الدارمي في «السنن» (رقم ١٢٢/٣٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٣١) من طريق المسعودي عن القاسم قال: قال لي عبدالله ـ أي ابن مسعود ﷺ ـ: «إنِّي لأحسبُ الرجل ينسى العلم كان يعلمهُ للخطيئة يعملها».

وأخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (ص١٩٥) من طريق وكيع: ثنا المسعودي عن القاسم بن عبدالرحمٰن والحسن بن سعد عن ابن مسعود به.

٤ ـ ما أخرجه الدارمي في «السنن» (رقم ١٢٠/٣٧٠) واللفظ لَه، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣١/١)، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (رقم ٢٢/١٠) من طريق يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بن مسعود ﷺ: «تعلَّموا، تعلَّموا، فإذا علمتم فاعملوا».

٥ ـ ما أخرجه الدارمي في «السنن» (رقم ١١٩/٣٦٧ ـ باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله) عن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان يقالُ: العلماء ثلاثةٌ:

عالمٌ بالله؛ يخشى الله، ليس بعالمٍ بأمر الله.

عالمٌ بالله، عالمٌ بأمر الله يخشى الله، فذاك العالمُ الكامل.

عالمٌ بأمر الله، ليس بعالمٍ بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجرُ».

٦ ـ ما أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٣٩) عن الإمام وكيع بن الجراح الرؤاسي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «استعينوا على الحفظ بترك المعصية».

وجاء في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (١/رقم ٧٠٩/١٢٨٦) و(٢/رقم ١٠٣١/١٩٧٩) عن وكيع قوله: «كُنَّا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكُنَّا نستعين على طلبه بالصَّوم».

وفي «الزهد» لوكيع (٣/رقم ٨٦٢/٥٣٩) عن شيخٍ لهم قال: «كنا نستعين على طلب الحديث بالصوم».

وأخرج الخطيب في «اقتضاء العلم» (رقم١٤٩/ص٩٠) بسنده عن وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به».

فأنت ترى أنَّهم كانوا يتقلبون في الطَّاعات، وتأمل قوله: «كنَّا»، وهذا يعني أنَّ ذلك هو الذي كانوا عليه!!!

٧ ـ ما أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم ٤٧٤/١٣٤٥) عن حبيب بن عبيد الرحبي رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: «تعلموا العلم واعقلوه، وانتفعوا به، ولا تعلَّموه لتجمَّلوا به، فإنه يوشكُ إن طالَ بك العُمر أنْ يُتَجمَّل بالعلم كما يتجمَّل الرَّجلُ ببزَّته»، أي بثوبه كما في موطنٍ آخر منه (برقم ٥٠٥/١٤٤٢).

٨ ـ ما أخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم» (رقم٥٥/٨٤ ـ ٥٦) عن الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلمُ إن لم ينفعكَ ضرَّكَ».

قال الحافظ الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ معلِّقاً: «قلتُ: يعني إن لم ينفعهُ بأنْ يعمل بهِ، ضرَّهُ بكونهِ حُجَّة عليه».

وفي هذا المعنى يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ فيما أخرجه الدارمي في «السنن» (رقم٣٦٨/١٢٠): «العلمُ علمان: فعلمٌ في القلبِ فذلك العلمُ النَّافع، وعلمٌ على اللسان فذلك حجَّة الله على ابن آدم».

ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ بعلم القلب: أي العلم الذي ينفع صاحبه فيعلمه ويعمل به، وكما قيل:

وإذا حلَّت الهداية قلباً ... نشطت في العبادة الأعضاءُ.

وأما علم اللسان: هو العلم الذي لم يعمل به صاحبه مع كونه نافعاً في أصله، وإنما لم ينفعه لأنَّه لم يعمل به فعاد عليه كَلًّا! نسأل الله السلامة والعافية.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩٩/١٣) عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «إنَّ المؤمن أحسنَ الظَّنَّ بربِّه فأحسنَ العمل، وإنَّ المنافق أساء الظَّنَّ بربِّه فأساء العمل».

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه النافع: «فضل علم

السلف على علم الخلف» (ص١١ ـ ١٣): «... قد ذكر الله في كتابه العلم تارة في مقام المدح، وهو العلم النافع، وذكر العلم تارة في مقام الذم، وهو العلم الذي لا ينفع، فأما الأول: فمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ـ [الزمر: ٩].. ثم ذكر عدة آيات في هذا المقام ثم قال ـ فهذا هو العلم النافع، وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم، فهذا علمه نافعٌ في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ ـ [الجمعة: ٥] ـ... ثم ذكر آيات عديدة في هذا المقام ثم قال ـ وأما العلم الذي ذكر الله على جهة الذم له، فقوله في السحر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ـ [البقرة:١٠٢] ـ ثم ذكر بعض الآيات في ذلك، ثم قال ـ ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع...».

٩ ـ قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ألفية الحديث» (٢٨٣/٣ ـ مع فتح المغيث):

وأخلص النية في طلبكا ... وجد وابدأ بعوالي مصركا

إلى أن قال:

واعمل بما تسمع في الفضائل ... والشيخ بجله ولا تثاقل

قال الحافظ السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح المغيث» (٢٨٢/٣ ـ ٢٨٦) شارحاً البيت الأخير ـ وهو محل الشاهد ـ: «(واعمل بما تسمع) ببلدك وغيرها من الأحاديث التي يسوغ العمل بها .... ولقول مالك بن مغول في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ـ [آل عمران: ١٨٧] ـ قال: تركوا العمل به.

ولقول إبراهيم الحربي: إنَّه ينبغي للرجل إذا سمع شيئاً في آداب النبي ﷺ أن يتمسَّك به.

ولأنَّ ذلك سبب ثبوته وحفظه ونموه والاحتياج فيه إليه ـ ثم ذكر أقوالاً عدَّة عن السلف ومنها ـ:

ورويناه عن عمرو بن قيس الملائي أنه قال: إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرَّة تكن من أهله...

وعن أبي عصمة عاصم بن عصام البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد ـ يعني ابن حنبل ـ فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء، فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله! رجلٌ يطلب العلم لا يكون لَه وِرْدٌ بالليل.

وقال أحمد أيضاً في قصَّة: صاحب الحديث عندنا منْ يَستعمل الحديث... وعن الحسن البصري قال: كان الرجل يطلبُ العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعه وهديه ولسانهِ وبصرهِ ويدهِ...».

ومن جميل ما يؤثر في تراجم الأئمة في هذا الباب:

١ ـ قال وكيع بن الجراح الرؤاسي: «كان الأعمش قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولى»، «سير أعلام النبلاء» (٢٢٨/٦).

قلت: يعني في صلاة الجماعة مع الإمام.

٢ ـ قال القاضي تقي الدين سليمان: «لم أُصلِّ الفريضة قطُّ منفرداً إلاَّ مرَّتين، وكأني لم أصلها قطُّ»، «ذيل طبقات الحنابلة» (٣٦٥/٢).

٣ ـ قال محمد بن سماعة الكوفي: «مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً ماتت فيه أُمِّي، ففاتتني صلاة واحدة في جماعةٍ، فقمت فصليت خمساً وعشرين صلاة، أريد بذلك التضعيف، فغلبتني عيناي، فأتاني آتٍ، فقال: يا محمد، قد صليت خمساً وعشرين صلاة، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة»، «تهذيب التهذيب» (٢٠٤/٩).

٤ ـ قال إبراهيم بن يزيد التيمي: «إذا رأيت الرجلَ يتهاونُ في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه»، «سير أعلام النبلاء» (٦٢/٥).

٥ ـ جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن عبدالوارث القرطبي في كتاب

«الصلة» لابن بشكوال (٢٣/١) أنَّه رأى يحيى بن مالك بن عائذ وهو شيخٌ كبير يتهادى إلى المسجد، وقد دخل والصلاة تقام، قال: فسمعته ينشد بأعلى صوته:

يا رب لا تسلبني حبّها أبداً ويرحمُ الله عبداً قال آمينا

قال: فلم أشك أنَّه يريد الصلاة.

٦ ـ أحمد بن محمد بن سليم الطليطلي، قال فيه ابن بشكوال في «الصلة» (٣٠/١): «وكانت تُقرأ عليه كتب الحديث؛ فإذا مرَّ القارئ بذكر الجنَّة والنار بكى».

٧ ـ قال الضحاك بن مزاحم رَحِمَهُ اللَّهُ للأجلح: «اعمل قبل أن لا تستطيع أن تعمل، قال الأجلح: ويكون هذا؟ قال: فأنا أريد أن أعمل اليوم فما أستطيع»، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٣٠١).

وجاء في ترجمته من «تهذيب الكمال» (٢٩٥/١٣): «أنه كان إذا أمسى بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: لا أدري ما صعدَ اليومَ مِنْ عملي».

٨ ـ عبدالرحمٰن بن أبي نُعم البجلي الكوفي الإمام، قال بكير بن عامر: «لو قيل لَه ـ أي لعبدالرحمٰن ـ قدْ توجَّه إليك ملكُ الموت، ما كان عندهُ زيادةُ عملٍ، وكان يمكث جمعتين لا يأكلُ»، «سير أعلام النبلاء» (٦٢/٥).

٩ ـ قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٥٩٢/٢) في ترجمة الإمام أبي داود السجستاني صاحب «السنن»: «وبلغنا أنَّ أبا داود كان من العلماء العاملين، حتى إنَّ بعض الأئمة قال: كان أبو داود يُشبه أحمد بن حنبل في هديه ودلِّه وسمته، وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع، وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وإبراهيم بعلقمة، وعلقمة بعبدالله بن مسعود، وقال علقمة: كان ابن مسعود يشبه النبي ﷺ في هديه ودلِّه».

١٠ ـ ما أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٥٧/٨) بإسنادٍ صحيح

عن مجاهد: عن يزيد بن شجرة: «أنَّه كان يقصُّ، وكان يوافق قوله فعله».

وفي ترجمته من «السير» (٩/ ١٠٦) أنَّ مجاهداً قال: «كان يزيد بن شجرة مما يذكِّر يبكي، وكان يُصدِّق بكاءه بفعله ﷺ».

ثم إنني أختم بما قَالَه الحافظ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «اقتضاء العلم العمل» (ص١٤ ـ ١٦): «... ثم إنِّي موصيك يا طالب العلم؛ بإخلاص النِّيَّة في طلبه وإجهاد النفس **على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة**، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً... فلا تأنس بالعمل ما دمتَ مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قلَّ نصيبك منهما.... **والعلم يراد للعمل كما العمل يرادُ للنجاة**، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كَلاًّ على العالم، ونعوذ بالله من علم عادَ كَلاًّ، وأورث ذُلاًّ، وصار في رقبة صاحبه غُلاًّ... ـ إلى أن قال ـ وهل أدركَ مَنْ أدرك من السَّلف الماضين الدَّرجات العُلى إلا **بإخلاص المعتقد، والعمل الصَّالح**، والزهد الغالب في كلِّ ما رَاقَ من الدُّنيا... وهل جامع كُتب العلم إلا كجامع الفضة والذهب، وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما، وهل المغرم بحبها إلا ككانزهما، وكما لا تنفع الأموال إلاَّ بإنفاقها، **كذلك لا تنفعُ العلوم إلا لمن عمل بها، وراعى واجباتها**، فلينظر امرؤٌ لنفسهِ وليغتنم وقتهُ؛ فإنَّ النَّواء قليلٌ، والرحيل قريبٌ، والطريقُ مَخُوفٌ والاغترارُ غالبٌ، والخطر عظيمٌ، والنَّاقدُ بصيرٌ، والله تعالى بالمرصاد وإليه المرجع والمعاد ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]».

ولعل في هذا القدر كفاية وتذكرة لمن كان لَه قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

وكتبه:

عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ

المدينة النبوية/قباء

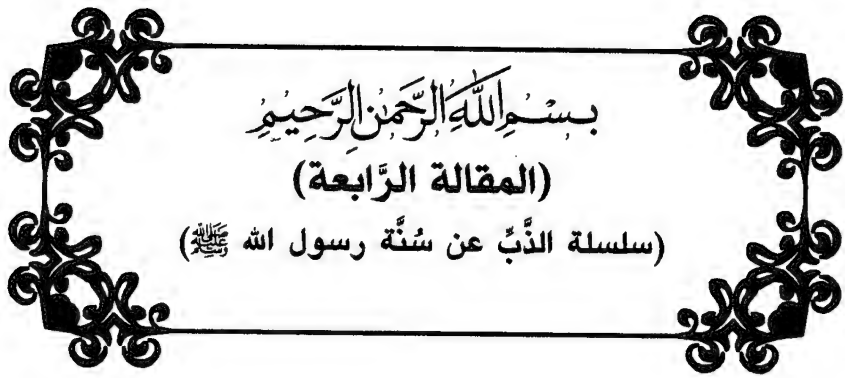

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وبعد:

فإنَّ الله ﷻ قد تَكَفَّلَ بِحِفْظِ الْحَنِيْفِيَّةِ السَّمْحة، فَقَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾، وقيَّضَ لها خَلْقاً من الْمُؤْمِنِيْنَ فِي كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ، لحفظها والذَّبِّ عنْهَا وَصِيَانَتِهَا مِنْ كُلِّ دَخِيْلٍ، حِفْظاً في الصُّدُورِ وَدِرَاسَةً وَتَعلُّماً وتَعْلِيْماً وَتَصنِيْفاً، وتَمَّمَ نِعْمةَ حِفْظِهِ لِكتابِهِ أَنْ حَفِظَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إِذْ هِي الْمُفَسِّرةُ وَالمبيِّنة وَالموَضِّحة والمقيّدة والمخصِّصة لِمَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ العَزِيْزِ.

قَال الْحَافِظُ ابْنُ حِبَّانَ البُستي رحمه اللَّه: «فُرْسَان هَذا العِلْم الَّذين حَفِظُوا عَلى الْمُسْلِمين الدِّين، وَهَدوهم إِلى الصِّراط المستَقيم، الَّذين آثروا قَطْعَ الْمَفَاوزِ وَالقِفَار عَلَى التَّنَعُّم في الدِّيار وَالأَوْطان فِي طَلَبِ السُّنَنِ في الأَمْصَارِ، وجَمْعِها بالرَّحلِ والأَسْفار والدَّورانِ في جميعِ الأقطارِ، حتَّى إنَّ أحدَهم لَيَرْحَلُ في الحديثِ الواحِدِ الفَرَاسخَ البعيدة وفي الكَلمةِ الواحدةِ الأيامَ الكثيرةَ، لِئَلا يُدْخِلَ مُضِلٌّ في السُّنَنِ شيئاً يُضِلُّ به، وَإِنْ فَعَلَ فَهُمُ

الذَّابُّونَ عَنْ رسول ﷺ ذَلكَ الكَذب، وَالقَائِمُونَ بنُصْرةِ الدِّينِ»، انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ من كتاب «المجروحين» له (١/٧٢).

وقَال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة الحرَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أنْ ذكرَ حَديثاً موضُوعاً: «إنَّهُ مِنْ أكاذيبِ أهْلِ الوَضْعِ وَالاخْتِلاَقِ، الَّذين وَضَعُوا مِنَ الكَذِبِ أَكْثر مِمَّا بِأَيْدي الْمُسْلِمينَ مِنَ الصَّحيحِ، **لَكنَّ الله فَرَّقَ بَيْنَ الحقِّ وَالبَاطِلِ بِأَهْلِ النَّقْدِ العَارِفِينَ بِالنَّقلِ، عُلَمَاء التَّعديل والتَّجْريح**»، «الرَّد على البكري» (١/٧٠).

وَهَذا الَّذي سَارُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيانِ الْحَقِّ لِلْخَلقِ إنَّمَا هُو مِنْ بَابِ النَّصيحةِ للَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ الله عَلَيْه وَآله وسلَّم وَلِعَامَّة المسْلِمينَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَرْحَمُونَ الْخَلْقَ وَيُبيِّنونَ الْحَقَّ.

قَالَ شَيخُ الإسْلام ابْنُ تَيميَّة رَحمه الله: «والمؤمنُ الْمُحسنُ المتَّبعُ لِسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ، لاَ يَأْمُرُ أَحَداً بِأَمْرٍ لِمُجَرَّدِ غَرَضِهِ... وَلاَ يَسْأَلُ أَحْداً شَيْئاً، بَلْ إِذَا أَمَرَ أحداً بِأَمْرٍ كَانَ مَقْصودُه بِذَلكَ انْتفاع الْمَأمورِ وَحُصُول مَصْلحتِهِ، وَلَهُ أَجْرُ النَّاصحِ الدَّالِ عَلى الْخَيرِ، الدَّاعي إلى الْهُدى، فَيَكُونُ لَهُ مِثْل أَجْرِ العَاملِ الْمَأمورِ مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أجْرِ العَامِلِ شَيءٌ... فَالمؤمنُ الْمُتَّبعُ لِلسُّنَّةِ، يُحْسِنُ إِلَى الْخَلْقِ وَيَطْلُبُ الأَجْرَ مِنَ الْخَالقِ، فَيَكُونُ قَائِماً بِحقِّ الله وَحَقِّ عِبَادِهِ..». «الرد على البكري» (١/٢١٨ ـ ٢١٩).

فَالْمُؤمِنُ السُّنِّي المتَّبع إنَّما يَسْلُكُ بِذَلكَ الصِّراطَ الْمُسْتَقيم الَّذي يَدْعُو ربَّه في كُلِّ ركعةٍ أنْ يَهْديَهُ إِلَيْهِ، قَالَ شَيخُ الإسْلام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المسألة العُشرون: وَهِيَ: مَا هُو الصِّراط المستقيم؟ فنَذْكُرُ فِيْهِ قَولاً وَجِيْزاً؛ فإنَّ النَّاسَ تَنَوَّعَتْ عِبَاراتهم فيهِ... وَحَقِيْقَتُهُ شَيءٌ واحدٌ وهُو:

طَريقُ اللَّهِ الَّذي نَصَبهُ لِعِبَادهِ عَلَى أَلْسن رُسُلهِ، وَجَعلهُ مُوصِلاً لِعَبادهِ إِلَيْهِ، وَلاَ طَريقَ لَهُم إِليهِ سِوَاهُ، بَلِ الطُّرقُ كُلُّهَا مَسدودة إلاَّ هذا؛ وهُو إفرادهُ بالعُبُوديَّةِ، وَإِفرادُ رَسُولهِ بالطَّاعةِ، فَلا يُشْركُ بِهِ أحداً في عُبُودِيَّتِهِ، وَلاَ يُشْركُ بِرَسُولهِ أَحَداً فِي طَاعتهِ، فَيُجَرَّد التَّوحيد وَيُجرِّد مُتَابعةَ الرَّسُولِ ﷺ»، «بدائع الفوائد» (٢/٤٠).

فَمِمَّا تَقَدَّم يَتَبَيَّنُ لَنَا جَلِيّاً مَكَانَةَ أَهْلِ الْحَديثِ وَأئمَّة السُّنَّة، وَمَسْلَكَهُم النَّبيل وجُهودهم فِي حِفْظِ دِيْنِ الله وَالذَّبِ عنْهُ بالنَّفس والنَّفيس! بِعِلْم وَعَدلٍ، لا وَكْسٍ وَلاَ شَطَطٍ، رَغْبَةً فِيْمَا عِنْدَ الله ورَهْبَةً مِنَ الله! فَنَصَحُوا وَبَرُّوا، غَفرَ الله لَهُم وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُمْ.

وَاسْتِئْناساً بِمَسْلَكِهم وَنُصْحاً لِلأُمَّةِ رَغِبْتُ فِي مشاركتِهم الذبَّ عنْ سُنَّة رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الغرَّاء، فِي مَقَالات عِدَّة، أَبدأُ فيها بالتَّنبيه على أمرٍ خَطيرٍ قد وقعَ فيه عَددٌ مِنَ العُلَماءِ ـ غَفَر الله لهم ـ وتَتَابَعُوا عَليه!! وَنَسبوهُ إِلَى خَصَائصهِ الشَّريفة صلَّى الله عَليه وآله وسلَّم، وَلَيسَ الأمرُ كَذَلِكَ ـ كما سَأُبيِّنُهُ بحولِ الله ـ، فَأَسْأَلُ الله بِمنِّهِ وَكَرمِهِ أَنْ يَحْشُرَنِي وَوَالِدَيَّ ومَشَايِخي وَذُرِّيَتِي وَإِخْوَتي مِنْ أَهْلِ السُّنَّة تَحْتَ لوائهِ يَومَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، اللهُمَّ آمين.

وَهَذا أَوانُ الْمَقْصُود:

المأخَذُ: قَال العلاَّمةُ أَبو العَبَّاس أَحْمدُ بْنُ عُمر القُرْطبي (ت٦٥٦هـ) في كتابهِ «الْمُفْهِمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيْصِ مُسْلم» (٤/٩٠) شَارِحاً حَديثَ جَابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلم، وَفِيْهِ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأى امْرَأَةً، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنب وَهِيَ تَمعسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، ثُمَّ خرَجَ إِلَى أَصْحَابه فَقَال: **إِنَّ الْمَرأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَان، وتُدبرُ في صُورةِ شَيطان، فَإِذَا أَبْصرَ أَحدُكم امْرأَةً فَلْيَأتِ أَهْلَهُ، فإِنَّ ذلكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**».

قَال القُرْطِبيُّ: «قَوله: «رأى امرأة» أي وَقَعَ عليها بصَرُهُ فَجْأَةً، قَال: وَكانَ ﷺ لا تَحْتَجِبُ النِّساءُ منه، قَالَ: وكانَ إِذَا أَعْجبتْهُ امْرَأَةٌ فَرَغِبَ فِيْهَا حَرُمَ عَلَى زَوْجِها إِمْسَاكُهَا، هَكَذا ذكرهُ أَبُو المعَالي وغيره»، انْتَهَى كَلامهُ.

قلتُ: يقصد بأبي المعالي: عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حَيويه الجُوينيُّ ثم النَّيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف (ت ٤٧٨هـ).

تنظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٨/٤٦٨ ـ ٤٧٧)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/١٦٥ ـ ٢٢٢).

ويقصد بقوله: «وغيره» أي أنَّ هذا القول قاله غيره من أهل العلم، والأمر كما قال فإنَّ هذه المسألة قَدْ ذَكرها جَمْعٌ مِنَ العُلَماءِ وَعَدُّوهَا فِي خَصَائِصهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُدلِّلوا عَلَيْهَا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ صَرِيحٍ!! تنظر أقوالهم في:

«الجامع لأحكام القرآن» (٢١٢/١٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ الآية، و«روضة الطالبين» (٣٥٣/٥ ـ ٣٥٤)، و«غاية السُّول في خصائص الرَّسول» (القسم الثاني/ التخفيفات المتعلِّقة بالنِّكاح) (المسألة الثالثة/١٩٦ ـ ١٩٧)، و«تكملة شرح العراقي على جامع الترمذي» (ل ٢٥٧ب/ نسخة الرباط) (شرح الباب التاسع من الجامع/ الوجه السابع)، و«إكمال إكمال المعلم» (١٠/٤)، «مكمل إكمال الإكمال» (١٠/٤)، و«أنموذج الحبيب في خصائص الحبيب» للسيوطي (الفصل الثالث/ فيما اختصَّ به النبي ﷺ من المباحات) (ص٧٢).

وهذا القولُ باطلٌ، وتَفْنِيْدُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

الأوَّلُ: إنَّ منَ المعلومِ أنَّ مِنَ الواجب عَلى المسلمين التَّأسي بالنَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هَديه قَولاً وفعلاً، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾؛ فَدلَّت الآية الكريمة عَلَى أنَّ ما صَدرَ منْهُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قولاً أو فعلاً فَهو مَحل تَأس وَاقْتداء، إلاَّ مَا جَاء الدَّليل بِتَخْصيصهِ وَاسْتِثْنَائهِ مِنْ هَذهِ القَاعِدَة العامَّة كَالْخَصَائِصِ مَثَلاً.

قَالَ ابْنُ الملقن: «فَإنَّ الَّذي يَنْبَغي وَلاَ يُعْدَلُ إِلَى غَيْرِهِ: أنْ لاَ تَثْبُتَ خُصوصية إلاَّ بَدليلٍ صَحيحٍ»، «غاية السول» (ص٧٩).

وفي «المواهب اللدنية» (٦٠٠/٢): «والخصائصُ لا تَثْبُتُ إلاَّ بدليلٍ صحيحٍ».

وقَال الجويني!!: «ليس يَسُوغُ إثباتُ خصائص رسُولِ الله ﷺ بالأَقْيِسَةِ الَّتي يُنَاط بِهَا الأحكام العامة في النَّاس، ولكن الوجه ما جاء به الشَّرع من غير ابتغاء مزيدٍ عليه»، من «نهاية السول» (ص٦٩).

وقال ابن الملقن معلِّقاً على الأقيسة في الخصائص النَّبوية: «فإنَّ الأقيسةَ لاَ مَجالَ لَهَا في ذَلكَ، وَإنَّما المتَّبع فيه النُّصوص، وما لا نَصَّ فيه **فالاختيارُ في ذلك هُجُومٌ عَلَى غَيْبٍ بلا فائدة**»، «نهاية السول» (ص٦٩).

فهذه بعض النقولات عن بعض العلماء ممن أُثرَ عنهم ذلك القول الباطل! في أنَّ الخصوصية لا مجال للاجتهاد فيها، **ولا تثبتُ إلاَّ بنصٍّ! وهذا هو الصَّحيح.**

الثاني: بناءً على ما تقدَّم تقريره فإنَّ ذكر هذه المسألة في خصائصه عليه الصَّلاة والسَّلام هي في الحقيقةِ لَو أَرَدْنَا أنْ نُعملَ فِيْهَا القَاعِدَةَ المتقدِّمة لَمَا اسْتَطعنا!! إذْ لَمْ يَرِد نصٌّ يدلُّ عليها!! ثُمَّ هِيَ تَأْصيلٌ لِمَا يَقولُه المستشرقون وأعداء الدِّين والملة مِنْ أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ شهواني!! وحَاشَاهُ عَليه الصلاة والسلام بِأَبِي هُو وَأُمِّي.

الثالث: غاية ما استدلَ بهِ مَنْ قال بهذهِ المقالة الشَّنيعة قصَّة زيدٍ رضي الله تَعالى عنهُ!! وعندَ التَّمعن في قصَّة زيدٍ يَظْهرُ بجلاءٍ عَدم صحَّةِ الاستدلالِ بها عَلَى هَذه المسألةِ، فَقَدْ خرَّج الإمامُ البُخَاريُّ في «صحيحه» (١٣/رقم٤٠٣/٧٤٢٠ ـ فتح) عن أنسٍ ﷺ قالَ: جَاءَ زيدُ بنُ حَارثة يشْكُو، فجَعلَ النَّبي ﷺ يقولُ: «**اتَّقِ الله وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**»، قَالَ أَنَس: لَو كَان رَسول الله ﷺ كَاتِماً شيئاً لكتمَ هذهِ، قَال: فكانتْ زَينب تفْخَرُ علَى أَزْواجِ النَّبي ﷺ تَقُولُ: زَوَّجكن أَهاليكنَّ، وَزَوَّجَنِي الله مِنْ فَوقِ سَبع سَماواتٍ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: «وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السُّدي فساقهَا سِيَاقاً حَسَناً وَلَفظهُ: بَلغنا أنَّ هَذه الآية نَزلت في زينب بنت جحش، وكانت أُمها أُميمة بنت عبد المطلب عمَّة رَسُول الله ﷺ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ أرادَ أنْ يُزَوجهَا زَيد بن حارثة مَولاهُ، فَكَرِهَتْ ذَلكَ، ثُمَّ إِنَّهَا رَضِيَتْ بِمَا صَنعَ رَسُولُ الله ﷺ، فزوَّجها إيَّاهُ، ثُمَّ أَعْلمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بَعْدُ أَنَّهَا مِنْ أَزْواجِهِ، فَكانَ يَسْتَحِي أنْ يَأْمُرَ بِطَلاقِهَا، وَكَانَ لاَ يَزَالُ يَكُونُ بَيْنَ زَيد وَزينب مَا يَكُون مِنَ النَّاسِ، فَأمرهُ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يُمْسِكَ عَليهِ زَوْجَهُ وَأَنْ يَتَّقِي اللَّهَ، وَكَانَ يَخْشَى النَّاس أنْ يَعِيْبُوا عليه وَيَقُولُوا تَزَوَّجَ امْرَأَةَ

ابْنِهِ، وَكان قَد تَبَنَّى زَيْداً، ثُمَّ ذكرَ روايةً أُخرىَ مِنْ طَريقِ عَلي بن زَيدِ بْنِ جُدعان، وأنَّ الحكيم الترمذي أَطْنبَ فِي تَحْسينِ الرِّوَايَة، فتعقَّبَهُ بِأنَّه لَعلَّهُ لَمْ يَقفْ عَلَى تَفْسيرِ السُّدي الَّذي أَوردهُ، وَهُو أَوْضَحُ سِيَاقاً وَأَصَحُّ إِسْنَاداً إليهِ؛ لِضَعْفِ عَلي بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدعان... ـ ثُمَّ قَال ـ وَوَرَدَتْ آثارٌ أُخرَى أَخرجهَا ابنُ أَبي حَاتم وَالطَّبري وَنَقلها كَثيرٌ مِنَ المفَسِّرينَ لاَ يَنْبَغي التَّشَاغل بِهَا، وَالَّذي أَوْرَدْتُهُ مِنْهَا هُو الْمُعْتَمَدُ.

وَالْحَاصلُ أَنَّ الَّذي كَانَ يُخْفيهِ النَّبيُّ ﷺ هُو إِخْبَارُ اللَّهِ إِيَّاهُ أَنَّهَا سَتَصِيْرُ زَوجتهُ، وَالَّذي كَانَ يَحْملهُ عَلَى إِخْفَاءِ ذَلكَ خَشْيةَ قَولِ النَّاس: تَزَوَّجَ امْرَأَةَ ابْنهِ، وَأَرادَ اللَّهُ إِبْطَال مَا كَان أَهْل الجاهليَّةِ عَليهِ مِنْ أَحْكَامِ التَّبَنِّي...»، «فتح الباري» (٨/٥٢٣ ـ ٥٢٤).

فأين الدَّليلُ مِنَ القِصَّة؟ وَأمَّا قَولُ بَعْضهم فِي بَعْضِ الرِّوَايات: «إِنَّهُ رَآهَا فَوَقَعتْ فِي قَلْبِهِ»، فَهُو كَلامٌ بَاطلٌ؛ لأنَّ الرَّسُولَ ﷺ كانَ يَرَاهَا قَبْلَ أَنْ يُزَوِّجَهَا لِزَيْدٍ، فَلَمْ يَكُن الْحِجَابُ مَفْروضاً يومئذٍ، وَإِنَّمَا فُرِضَ الْحِجَابُ لَيْلَةَ زَواجِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ، وَهذا يُبْطِلُ القصَّة المزعومةَ.

وينظر «من معين السيرة النبوية» (ص١٤٢).

الرابع: ذهبَ بعضُ أهلِ العِلْم إِلَى بُطْلانِ القَول بِأنَّ هَذه خِصِّيْصَة، وَنَفَاهَا، قَال السُّبكي: «وَلم يكن ﷺ تُعْجِبُهُ امْرأَةُ أَحدٍ منَ النَّاس، وَقِصَّةُ زَيْنب إِنَّمَا جَعَلها الله تَعَالى كمَا فِي سُورة الأحزاب قَطْعاً لِقَولِ النَّاس: إِنَّ زَيْداً ابْنُ مُحَمَّدٍ، وَإِبْطَالاً لِلتَّبَنِّي ـ قَالَ ـ وَبِالجمْلَةِ فَهَذا الْمَوْضِعُ مِنْ مُنْكَراتِ كَلامِهم فِي الْخَصائص، وَقَدْ بَالَغُوا فِي هَذا البَابِ فِي مَواضِعَ، وَاقْتَحَمُوا فِيْهَا عَظَائم، لَقَد كَانُوا فِي غُنْيَةٍ عَنْهَا»، «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٥/٢٣٥).

الخامس: أنَّه قَدْ وَرَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى ضِدِّ هَذهِ الْمَسألة وَأبلغ منْهَا، وَهُو:

أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله سلَّم خَطَبَ بَعْضَ النِّساء صَرَاحَةً، فَلَمْ يُجِبْنَهُ، وَبَعْضُهنَّ أَجَبْنَهُ بَعْدُ: فَمَثَلاً:

أ ـ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، خَطَبها النَّبي ﷺ فاعتذرتْ ثُمَّ قَبِلَتْ!! ينظر «صحيح مسلم» (٢/رقم ٩١٨ (٣))، ونحوه في «المسند» (٤٤/رقم ٢٦٦٦٩/٢٦٨)، والنسائي (٦/رقم ٣٢٥٤/٣٨٩).

ب ـ أم هانىء هند بنت أبي طالب، بنت عمِّ رسول الله ﷺ خطبها النَّبي ﷺ صَرَاحَةً فَاعْتَذَرَتْ خَشْيَةَ عَدمِ قِيَامِها بِحَقِّهِ عَليه الصَّلاة والسَّلام.

فَقَد قَال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٣/٣٠٠) وحكم بإرساله: «أخرج ابنُ سعدٍ بسندٍ صحيح عن الشعبي قال: خطب النَّبي أم هانىء، فقالت: يا رسول الله، لأنتَ أحبّ إليَّ من سمعي وبصري، وحق الزوج عظيم، أخشى أن أضيع حق الزوج...».

وينظر: «المستدرك» للحاكم (٤/٥٣)، و«السير» للذهبي (١/٣١٤).

وأخيراً أقول: مما يدلُّ على أنَّ هذه الخصوصية باطلة، أنَّ هذه المرأة التي رآها النَّبي ﷺ ثم قام فأتى أهله.. إلى آخر الحديث، لم يأتِ في طريقٍ من طُرق الحديث أنَّها حَرُمَتْ عَلَى زَوْجِهَا بِمُجرَّدِ نَظَرِهِ إليها!! وَلَمْ يأتِ فِي طَرِيْقٍ مِنْهَا أنَّه تَزَوَّجها!! فَأَيْنَ هَذا القَولُ مِنَ السُّنَّة؟! واللَّه أعلم.

ينظرُ: كلام جيد في «جملة من الخصائص المكذوبة» والتي منها هذه، كتاب «من معين الخصائص النَّبوية» لصالح بن أحمد الشَّامي (الفصل الخامس/ خصائص مزعومة) (١٣١ ـ ١٤٧).

وقد أيَّد كَلامي هذا شيخنا العلَّامة عبدالمحسن العباد ـ حفظه الله ـ لما عرضته عليه مختصراً في منزلِهِ العامر، يوم الثلاثاء عصراً ٥/٣/١٤٢٤هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله على نبينا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ

المدينة النبوية ـ قباء

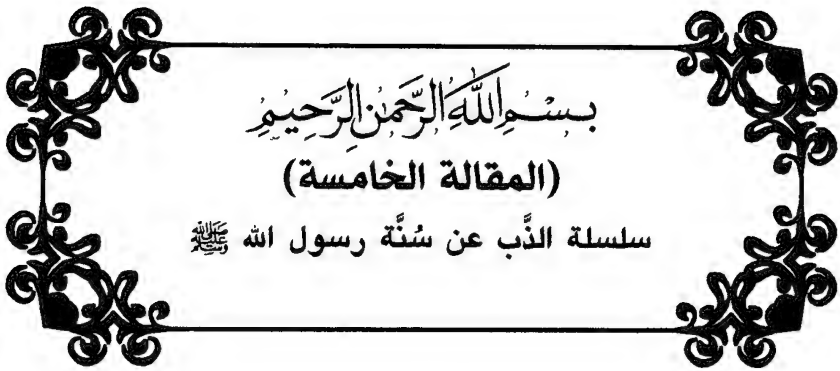

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقالة الخامسة)

سلسلة الذَّب عن سُنَّة رسول الله ﷺ

الحمد الله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذه المقالة الثَّانية في هذه السِّلسلة المباركة إن شاء الله تعالى، وأتناول فيه الذَّب عن عِرْضِ أَحَدِ حَمَلَةِ سُنَّة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحماتها؛ إذْ مِنَ المعلوم شرعاً:

أنَّ الذَّب عن أهل الحقِّ ذبٌّ عن الحقِّ؛ فهم حملته الداعون إليه، ورَّاث النُّبوة!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (٦٦/١) شارحاً قول النَّبي ﷺ: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء...**»: «... وفيه أيضاً **أمر للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين وبغضهم منافٍ للدين كما هو ثابت لموروثهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في موروثهم قال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **محبة العلماء دين يدان به**»، انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فلمَّا كان الأمر بهذه المثابة، رغبت في المشاركة في القيام ببعض هذا الحقِّ المطلوب من الأمة تجاه علمائها!

ولا يخفى عَلَى مُدْرِكٍ مَا تَشهدهُ السَّاحة اليوم مِنْ تَطاولٍ وَجُرأة وَوَقَاحةٍ عَلَى العِلْمِ وَأهلِهِ؛ خَاصَّة عُلماء أهل السُّنَّة المشهودِ لَهم ببيانِ الحقِّ ودَحْرِ البَاطل وأهلَهِ.

وَهَذا التطاول لَهُ صورٌ وأشكال عديدة؛ وأهله وإن اختلفت مشاربهم إلاَّ أنَّه يجمعهم الهوى والحنقُ على الحقِّ وأهله!! ولست في صدد بيان البواعث والدواعي!! فهي كثيرة ـ ولعلي أشير إلى بعضها فيما سيأتي ـ لكنْ لا يضرُّ ذلك أهل الحقِّ شيئاً بل يزيدهم ثباتاً وصموداً في وجه الباطل وأهله، ذلك أنَّهم على الحق، وقائمون بدين الله على علم وعدلٍ، قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

وإنني أُسَلِّي عُلماءنا أهل السُّنَّة السَّلفيين بقَول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ لما جاءت به خديجة رضي الله عنها إليه وأخبرهُ بما رآه في غار حراء من الوحي، قال: «يا ليتني كنت فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أوَ مُخرجيَّ هم؟**»، قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عودي...»، الحديث في «صحيح البخاري» (كتاب بدء الوحي) (١/رقم ٣/٢٣ ـ فتح الباري).

وبقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين» (٣/١٩٦ ـ ٢٠٠) شارحاً حديث (الغرباء) قال: «... والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء **وأهل العلم** في المؤمنين غرباء وأهل السُّنَّة الذين يميزونها مِنَ الأهواء والبِدَعِ فيهم غرباء، **والدَّاعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً فلا غربة عليهم**، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم...

فالغربة ثلاثة أنواع: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق،

وهي الغربة التي مدح رسول الله أهلها وأخبرَ عن الدِّين الذي جاء به أنه بدأ غريباً وأنَّه سيعود غريباً كما بدأ وأنَّ أهله يصيرون غرباء.

وهذه الغربة قد تكون في مكانٍ دون مكانٍ ووقتٍ دون وقتٍ وبين قوم دون قوم، **ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقاً فإنهم لم يأووا إلىَ غير الله ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ولم يَدْعُوا إلى غير ما جاء به**... ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النَّبيُّ:

التَّمسُّك بالسُّنَّةِ إذا رغبَ عنها النَّاس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم.

وتجريد التَّوحيد وإن أنكر ذلك أكثر النَّاس.

وترك الانتسابِ إلى أحدٍ غير اللَّهِ ورسولهِ، لا شيخٍ، ولا طريقةٍ، ولا مذهبٍ، ولا طائفةٍ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية لَه وحده وإلى رسوله بالاتِّباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقّاً وأكثر النَّاس بل كلهم لائم لهم؛ فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم... بل الإسلام الحقّ الذي كان عليه رسول الله وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة **فالإسلام الحقيقي غريب جدّاً وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس.**

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، **ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفةِ ما جاء به الرَّسول** فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشُّبُهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم، **فكيف لا يكون المؤمن السَّائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم** و.... فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه وفقهاً في سُنَّةِ رسوله وفهماً في كتابه وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم

عن الصِّراطِ المستقيم الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصِّراط فليُوطِّن نفسه على:

قدحِ الجُهَّالِ وأهلِ البدعِ فيهِ، وطعْنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير النَّاس عنه، وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه، فأمَّا إنْ دعاهم إلى ذلك وقَدَحَ فيما هم عليه فهنالك تَقُومُ قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله.

فهو غريبٌ في دينهِ لفسادِ أديانهم، غريبٌ في تمسُّكهِ بالسُّنَّةِ لتَمَسُّكِهم بالبدع، غريبٌ في اعتقادهِ لفسادِ عقائِدِهم، غريبٌ في صَلاتهِ لسُوءِ صلاتهم، غريبٌ في طريقه لضلالِ وفسادِ طرقهم، غريبٌ في نسبتهِ لمخالفةِ نِسَبِهِم، غريبٌ في معاشرتهِ لهم لأنَّه يُعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة: فهو غريبٌ في أمورِ دنياه وآخرته، لا يَجِدُ مِنَ العامَّةِ مسَاعِداً ولا معيناً، فهو عالمٌ بين جُهَّالٍ، صاحبُ سُنَّةٍ بين أهلِ بدعٍ، داعٍ إلى الله ورسولهِ بين دعاةٍ إلى الأهواءِ والبدعِ، آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكرِ بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف»، فالصَّبر الصَّبر، تفلحوا.

وهذا المسلك الذي أشار إليه الإمام ابن القيم من التنفير من علماء أهل السُّنَّة هُو مَسلك أهل البدعِ قديماً وحديثاً! وَتَأمل هَذا النقل عن الإمام الشاطبي واصفاً بعض طرائق أهل الأهواء والتي منها تقبيح فتاوى العلماء لدى العامة تنفيراً عن السُّنَّة واتباع إهلها! حيث قال في «الاعتصام» (٥٢/٢ ـ ط مشهور): «**وربَّما ردُّوا فتاويهم وقبَّحوها في أسماع العامَّةِ؛ ليُنفِّروا الأمَّةَ عن اتِّباعِ السُّنَّةِ وأهلها**».

فالمقصد من سلوك هذا المسلك الصَّد عن السُّنَّة وأهلها، وهذا يدلك على أنَّ الصَّد عن أهل الحقِّ صدٌّ عن الحق، وقد جاء في «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٨/١١): «الزم الحقّ يلزمك الحقّ».

ومن المعلوم أنَّ الصِّراع بين الحقِّ والباطل قديم، ومن ذلك بيان السُّنَّة ورد البدع، وقد شبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية غفر الله له هذا الصراع بقوله: «وأهلُ السُّنَّة إذا تقابلوا هم وأهل البدع، فلهم نصيبٌ من تقابل

المؤمنين والكفار. . .»، «الرد على البكري» (٢/٦٩٣).

ولأجل ذلك كان الرَّد على أهل البدع وبيان السُّنَّة من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، فلا ينبغي التخاذل والجبن فيه! إذ في ذلك خذلٌ للحقِّ وأهله، وظهور للباطل وتقوية لشوكته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ): «فالرَّادُّ على أهلِ البدعِ مجاهدٌ، حتَّى كانَ يحيى بن يحيى يقول: الذَّبُّ عن السُّنَّة أفضلُ من الجهاد. . .»، «الفتاوى» (٤/١٣).

وقال تلميذه شيخ الإسلام الثَّاني ابن القيم «مدارج السالكين» (١/٣٧٢): «واشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلفِ والأئمَّة لها ـ أي البدعة ـ وَصَاحوا بأهلها، مِنْ أقْطَارِ الأرْضِ وحذَّروا فِتْنَتَهُم أشدَّ التَّحْذيرِ، وبالغُوا في ذلك ما لم يُبَالِغُوا مثْله في إنكارِ الفَوَاحشِ، والظُّلْمِ، والعُدْوان، إذْ مضرَّة البدعِ، وهَدْمِهَا للدِّينِ، ومنَافَاتِهَا لَه: أشدّ».

لذا فإنَّ مِنْ نعم الله على عباده أن هيأ لهم أئمة يفطنون للباطل ويردونه، فينفون بذلك عن دين الله تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة كما في «مجموع الفتاوى» (٩/٢٣٣): «والمقصودُ، أنَّ هذه الأُمَّة ـ ولله الحمد ـ لم يزلْ فيها مَنْ يَتَفَطَّنُ لما في كلام أهلِ البَاطلِ مِنَ البَاطِلِ ويردَّه، وهمْ لِمَا هدَاهُم اللَّهُ بهِ، يَتَوَافَقُونَ في قَبولِ الحَقِّ، وردِّ البَاطلِ رَأياً وروايةً مِنْ غيرِ تَشَاعرٍ ولا تَوَاطؤ».

وهذا يَسْتدعي مِنْ عمومِ أهلِ السُّنَّةِ إجلالهم وتقديرهم واحترامهم وأنَّه مِنَ الواجباتِ عليهم نحوهم؛ لما حملوه من علمٍ نبويٍّ وهديٍ سنّيٍّ ودعوةٍ صافيةٍ.

وهذا الأمر ـ أعني التَّقدير والإجلال ـ هو مِنْ ثوابتِ أهلِ السُّنَّةِ، ولا تجوزُ زعْزَعتُهُ ولا الانفكاك عنه بحالٍ مِنَ الأحوالِ، ولا يعني هذا ادِّعاء العِصْمةِ لهم، لكنْ في المقابلِ أيضاً لا يعْني أنْ نطَّرِحَهم ونُسيءَ الأدبَ معهم ونَتَطَاول عليهم بعباراتٍ غير لائقة بعيدة عن مسالكِ طلبة العلمِ مع شيوخهم؛ فإنَّ ذلك علامةِ خذلانِ صاحبِها.

قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «تذكرة السامع والمتكلم»

(ص١٧٢): «لا تُمارِ مَنْ هم أعلم منك؛ فإذا فعلتَ ذلك حزن عليك علمه ولم تضره شيئاً».

وعن ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان سلمة يماري ابن عباسٍ، فحرمَ بذلك خيراً كثيراً»، (المصدر السابق).

وإنَّ مِنْ أُولئكَ العُلماء العَاملين الْمُجَاهدين الَّذين وقفوا وقفةَ صدقٍ في وجهِ البَاطلِ وَأهلهِ وبيان عوارهِ وَدَحْضِهِ، مِمَّن نَالَتْهم سِهَامُ الظُّلم وَالْجَورِ وَالْجَهل وَالْهَوى:

شيخنا العلَّامة المحدِّث النَّاقد المبجَّل أبو مُحمَّد رَبِيع بن هَادي بن عمير المدخلي حفظه الله ورعاه ومتَّع به.

فهذا العَلَمُ الهُمامُ كَمْ غُصَّت بكتاباتهِ وَرُدودهِ حُلُوق أهل الأهواء بجميع صنوفهم، وشتَّى توجهاتهم؛ فقد كشف الله ـ بمنِّه وكرمه ـ على يديه كثيراً مِنَ الشُّبَه والشُّكوك حول منهج الدَّعوة السَّلفيَّة المباركة، فنفعَ الله بكتاباته كثيراً جداً، وأجلَى غشاوات ظلَّت ردْحاً مِنَ الزَّمن عَلى أبصارِ خلقٍ كثيرٍ حَالت دُون بيانِ الحقِّ لهم، فالحمد لله أوَّلاً وآخراً ظاهراً وباطناً، وجزى الله شيخنا ربيعاً خير الجزاء وأوفاه، على جهادهِ ضدَّ المشاقين لهدي سيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسبيل المؤمنين، فلا نعرفُ شيخنا إلاَّ مدافعاً عن السُّنَّة مُنَافِحاً عنْها مجاهداً في سبيل نصرتها والرَّد عَلَى مَنْ خالفها، في جهود مَشكورة مباركة ـ إنْ شاء الله ـ مِنْ كتاباتٍ ومحاضراتٍ ولقاءات وغير ذلك من أوجهِ النَّفع التي سلكها حفظه الله بقدر استطاعته.

ولما كان الشيءُ بالشيء يُذكر فإنَّني أُلفت النَّظر إلى أنَّ شيخنا حفظه المولى، قَدْ أَثْنى عَليه جماعة من أئمة العصر، وهُمْ عَلى علم تامٍّ بكتاباته في بيان الحقِّ والرَّدِّ على الباطل، وهذا يدلُّ على مكانته عندهم لا كما يدَّعيه مرتزقة العلم!!، فمن أولئك الأئمة: **الإمام العلَّامة المحدِّث النَّاقد الفقيه ريحانة الدُّنيا الشَّيخ محمَّد ناصر الدين الألباني** (رَحِمَهُ اللَّهُ) فقال ـ لما سُئل عن الذين يطْعَنون في الشَّيخ ربيع ومقبل (رَحِمَهُ اللَّهُ) ـ: «نحن بلا شكٍّ نحمد الله عَزَّوَجَلَّ، أنْ سخَّرَ لهذه الدَّعوة الصَّالحة القائمة على الكتاب والسُّنَّة

على منهج السَّلف الصَّالح؛ دعاة عديدين في مختلف البلاد الإسلامية يقومون بالفرض الكفائي، الذي قلَّ مَنْ يَقُومُ به في العالم الإسلامي اليوم، **فالحطُّ على هذين الشَّيخين الشَّيخ ربيع ومقبل، الدَّاعيين إلى الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه السَّلف الصَّالح، ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصَّحيح؛ هو كما لا يخفى على الجميع إنما يصدر من أحد رجلين: إما جاهلٌ أو صاحب هوى.**

الجاهل يمكن هدايته؛ لأنه يظن أنه على شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدى.

أما صاحب الهوى فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله ـ تبارك وتعالى ـ فهؤلاء الذين ينتقدون الشَّيخين ـ كما ذكرنا ـ إما جاهلٌ فيعلم، وإما صاحب هوى، فيستعاذ بالله مِنْ شرِّه، ونطلبُ من الله ـ ﷻ ـ إمَّا أنْ يهديه وإمَّا أنْ يقصمَ ظهرهُ»، من مقدمة كتاب «النصر العزيز على الرد الوجيز» لشيخنا ربيع بن هادي (ص٦ ـ ٧) نقلاً عن أشرطة سلسلة الهدى والنور رقم ١/٨٥١.

وقال مرَّة: «**إنَّ الذي رأيته في كتابات الشَّيخ الدُّكتور ربيع؛ أنَّها مفيدة، ولا أذكرُ أنِّي رأيت لَه خطأً، وخروجاً عن المنهج الَّذي نحنُ نلتقي معه ويلتقي معنا فيه**»، (المصدر السابق).

والإمام العلَّامة الفقيه المفسِّرُ محمَّد بن صالح العثيمين (رحمه الله) لما سُئل عن الشَّيخ ربيع قال: «أنا أُسئل عن ربيع؟ ربيع يُسئلُ عني»، (من شريط: لقاء مع الشيخين العثيمين وربيع في عنيزة ـ تسجيلات دار ابن رجب بالمدينة النبوية).

وهذا من كمال تواضعه ومعرفته لأهل العلم قدرهم، وغيرهما كثير، فلا يَعرفُ الفضلَ لأهل الفضل إلا ذووه!

ويصدُقُ في شيخنا ربيع (حفظه الله) قول العلَّامة محمد بن إسماعيل

الصَّنْعاني (رَحِمَهُ اللَّهُ) ـ كما في «فتح المجيد» (٦٥/١ ـ ط الفريان) ـ في حقِّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (رَحِمَهُ اللَّهُ) في أبيات منها:

وينشر جهراً ما طوى كل جاهلٍ ... ومبتدعٍ منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً ... مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد

وقول العلامة حسين بن غنام (رَحِمَهُ اللَّهُ) ـ كما في «فتح المجيد» (٦٦/١ ـ ٦٧ ط الفريان) ـ في حقِّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (رَحِمَهُ اللَّهُ):

لقد رفعَ المولى به رُتبة الهدى ... بوقتٍ به يُعْلَى الضَّلالُ ويَرْفعُ
سقاه نميرَ الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيّار المعارف يقطعُ

إلى أن قال:

وشمَّر في منهاج سنَّة أحمد ... يشيد ويحيى ما تعفَّى ويرفع
يناظر بالآيات والسُّنَّة التي ... أُمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسمُ ثغرها ... وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهجُ الغواية طامساً ... وقد كان مسلوكاً به الناس تربع

والمتأمل في مؤلفاته (حفظه الله) الكثيرة في الدفاع عن السُّنَّةِ وَالرَّدِّ على مخالفيها، يظهرُ له بجلاء غزارة ورسوخ العلم، والرَّاسخون في العلم قلَّة! وقد **بيَّن العلامة الشاطبي من هم الرَّاسخون في العلم فقال: «... هم الثَّابتو الأقدام في علم الشَّريعةِ»**، «الاعتصام» (٦/١ ـ ط مشهور)، ومَنْ كانَ كذلك **«فهو إذن أهلٌ للهداية والاستنباط»** (المصدر السابق).

وَليس مِنَ العِلْمِ في شيءٍ السَّفه والطَّيش والاستخفاف والكذب والسِّبابُ ونحوه من مسالك أهل الظُّلم والهوى، إنَّما العلمُ هُو بَيَانٌ للحق ودَحْضٌ للباطل، قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **«العلمُ ما جَاء به أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، وما لم يجئ عن واحدٍ منهم فليس بعلمٍ»** «جامع بيان العلم» (٧٩٦/١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلم شيئان: إمَّا نقل مصدَّقٌ، وإمَّا بحثٌ محقَّقٌ، وما سوى ذلك فهذيانٌ مزوَّق» «الرد على البكري» (٧٢٩/٢).

وإنَّ مِنْ أسباب تسلط مَنْ جانبوا الصواب لا خلاقَ لَه على شيخنا ناصر السُّنَّة ربيع أنَّ سلك مسلك أئمة الهدى في عدم المحاباة في دين الله، قال الحافظ الخطيب البغدادي بعد نقله لكلام محمد بن حاتم بن المظفر، قال: «**فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه، ولا أخاه، ولا ولده، وهذا علي بن عبدالله بن المديني وهو إمام الحديث في عصره، لا يُروى عنه حرف في تقوية أبيه، بل يُروى عنه ضد ذلك**» «شرف أصحاب الحديث» (ص٤١).

ومما يلاحظ على بعض مَن كتبَ ـ وسلَّط قلَمه الَّذي لا يرعفُ إلاَّ بالشَّر كما يُقال ـ ونالَ منْ شيخنا حفظه الباري، أنَّه يدَّعي أنَّه عَلى السُّنَّة ـ زَعم! ـ وَلَمْ يسلك سبيلهم، ولا استنَّ بهديهم، ولهذا وأمثاله أُذكِّرُهُ بقولٍ للإمام الحسن البصري (رَحِمَهُ اللَّهُ): «يا ابن آدم لا تغترَّ بقولِ مَنْ يقولُ: المرءُ مع مَنْ أحبَّ؛ إنَّه مَنْ أحبَّ قوماً اتَّبعَ آثارهم، ولن تلحقَ بالأبرار حتَّى تتَّبع آثارهم وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنَّتهم، وتُصْبح وتمسي وأنتَ على منهاجهم، حريصاً على أنْ تكونَ منهم؛ فتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم، وإنْ كنتَ مُقصِّراً في العملِ، فإنَّما ملاكُ الأمر أنْ تكونَ على استقامةٍ، أمَا رأيتَ اليهود والنَّصارى وأهل الأهواء المرْدية، يُحِبُّونَ أنبيائهم وليسوا معهم!! لأنَّهم خالفوهم في القولِ والعملِ، وسَلَكوا غيرَ طريقهم، فصار موردهم النَّار، نعوذ بالله مِنْ ذلكَ» «شرح ثلاثيات أحمد» للسفاريني (٦١٧/١).

وأذكِّرهم أيضاً بقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليحذر العبدُ مسالك أهل الظُّلم والجهل الَّذين يرون أنهم يسلكون مسالك العلماء، تَسمعُ مِنْ أحدِهم جعجعة ولا ترى طِحناً، فترى أحدهم أنَّه في أعلى درجات العلم وهو إنما يَعلمُ ظاهراً من الحياة الدُّنيا، ولم يَحُمْ حولَ العِلم الموروث عن سيِّد ولد آدم ﷺ، وقد تعدَّى على الأَعْراضِ والأموال بكثرةِ القيل والقال،

فأحدُهم ظَالمٌ جاهلٌ لم يسلك في كلامه مَسْلك أصاغر العُلماء، بل يتكلَّم بما هو من جنسِ كلام العامَّة الضُّلَّالِ والقُصَّاصِ والجُهَّالِ، ليس في كلامِ أحدِهم تصويرٌ للصَّوابِ ولا تحريرٌ للجوابِ، كأهلِ العلم أولي الألباب، ولا عنده خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يُحْسِنُ التَّقليد الَّذي يعْرِفه متوسِّطة الفقهاء؛ لعدمِ معرفته بأقوالِ الأئمَّة ومآخذهم.

والكلامُ في الأحكام الشَّرعية لا يقْبَلُ مِن الباطلِ والتَّدْليس ما ينفق على أهل الضَّلالِ والبدع الذين لم يأخذوا علومهم عن أنوار النُّبوَّةِ وإنَّما يتكلَّمون بحسبِ آرائهم وأهوائهم؛ فيتكلَّمونَ بالكذبِ والتَّحريفِ فيُدْخِلون في دين الإسلام ما ليس منه وإن كانوا لضلالهم يظنون أنَّه منْه، وهيهاتَ هيهاتَ فإنَّ هذا الدِّين محفوظٌ بحفظ الله له» «الرد على البكري» (١/١٧٠ ـ ١٧١).

وبقوله أيضاً: «ولكنْ كلُّ مَنْ لم يكنْ علمه وعمله يرجعُ إلى العلم الموروث عن الرَّسولِ، مقيَّداً بالشَّريعة النَّبويَّة؛ لم يخْلص مِن الأهواءِ والبِدعِ، بل كلُّه أهواء وبدع» «الرد على البكري» (١/١٧٣).

وأختم بأنْ لا ضير على شيخنا حفظه الباري، فما يحدثُ لَه ـ ولغيره من علماء أهل السُّنَّة السَّلفيين ـ يذكِّرني **بما جرى بين الحسن بن عمارة البجلي الكوفي وبين أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج** (رَحِمَهُ اللَّهُ)، فقد جاء في ترجمة الحسن من كتاب «المجروحين» (١/٢٢٩) للحافظ ابن حبان البستي (رَحِمَهُ اللَّهُ) بعد أن حكى أقوال العلماء في الحسن! ومنهم شعبة والذي ذمَّه ذمّاً شديداً، قال الحسن البجلي لما بلغه كلام شعبة: «**الناسُ كلُّهم منِّي في حلٍّ خلا شعبة، فإني لا أجعله في حلٍّ حتى أقف أنا وهو بين يدي الله** عَزَّوَجَلَّ **فيحكمَ بيني وبينه!**».

علَّق ابن حبَّان على كلام البجلي قائلاً: «كان بليَّة الحسنِ بن عمارة أنَّه كان يُدِّلسُ عن الثِّقاتِ ما وضَعَ عليهم الضعفاء، كان يسمعُ من موسى بن مطير وأبي العطوف وأبان بن أبي عياش وأضرابهم ثم يسقط أسماءهم ويرويها عن مشايخهم الثقات، فلمَّا رأى شعبة تلك الأحاديث الموضوعة التي يرويها عن أقوام ثقاتٍ، أنكرها عليه وأطلقَ عليه الجرحَ، ولم يَعْلم أنَّ

بينه وبينهم هؤلاء الكذابين، فكأنَّ الحسن بن عمارة هو الجاني على نفسهِ، بتدليسهم عن هؤلاء وإسقاطهم من الأخبار حتى ألزق الموضوعات به.

وأرجو أنَّ الله ﷻ يرفع لشعبةَ في الجنانِ درجاتٍ لا يبلغها غيره إلاَّ مَنْ عملَ عملهُ؛ بذَبه الكذبَ عمَّن أخبر الله ﷻ أنَّه لا ينطقُ عن الهوى إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحى ﷺ».

فها هو شيخنا ربيع بن هادي وإخوانه من العلماء السَّلفيين يقتفون أثرَ شعبة ومَنْ قبله مِنَ الأئمَّةِ في الذَّبِّ عَنِ الدَّعوةِ السَّلفية الحقَّة، الَّتي هي دين الله الحقِّ، ومنهج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَنسأل الله بمنَّه وكرمه أنْ يحفظ شيخنا وجميع إخوانه من علماء السُّنَّة وطلابهم من كلِّ سوء ومكروه، وأنْ يرزق الجميع العلم النافع والعمل الصَّالح، إنَّه نعم المولى ونعم النصير، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ

المدينة النبوية ـ قباء

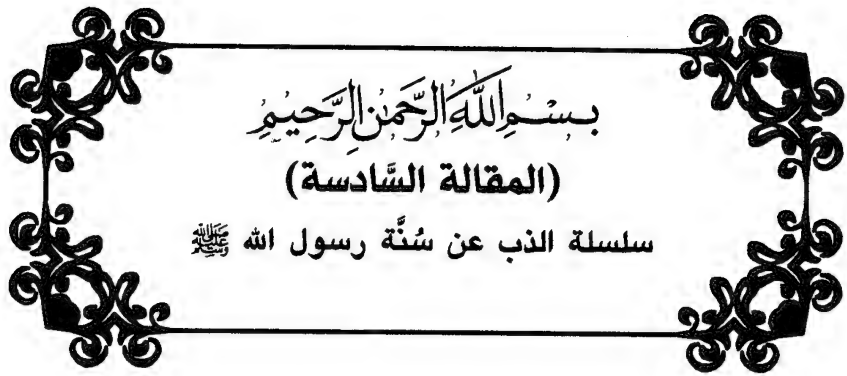

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسلام على نبينا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فهذا هو المكتوب الثَّالث في سلسلة الذَّب عن سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، وهو يتعلَّق بردٍّ شبهةٍ تُثار عَلَى فَهْمِ بَعْضِ أَحَاديث رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والَّذي دفعني إِلَى الكَتَابَةِ فِي هَذا الْمَوضُوعِ، مَا رأيتهُ مِنْ تَشْغيبٍ لِبَعْضِ النَّاسِ حَولَ هَذهِ الأحَاديث؛ ولهم في ذلك مآربُ مُخْتَلفة؛ فَمِنْهُم الْمُضَلِّلُ الدَّاعي إلى ضَلاَلِهِ لِيَسْتَحِلَّ بِذَلِكَ السَّيْف! وَمِنْهُم مَنْ هُو بُوقٌ لأُولِئَكَ، وَمِنْهُم مَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْحَقّ بِالبَاطِلِ فَصَار يُرَدِّدُ البَاطلَ مِنْ غَير تَمْييزٍ وَلاَ فُرْقَان! وَمِنْ أَهْلِ الْحَقِّ مَنْ ضَعُفَ أَمَامَ هَذا التَّشْغيب فَلَمْ يَسْتَطِعْ جَواباً؛ إمَّا لِقِلَّة حِيْلَتِهِ أَوْ لِضَعْفِ تَحْصيلِهِ أو لِغْفَلةٍ أصابتهُ أو نحو ذلك.

وَالمتأملُ في السَّاحةِ اليومَ يَجدُ أنَّ مِنْ أَشَدِّ الفِتَنِ فِي هَذا العَصْرِ فِتْنَة الْخَوارج المارقين؛ فَقَد ذَرَّ قَرنهم وَكَثُرتْ أَبواقُهم وَازْدَادَ شَرُّهم؛ فَبَثُّوا شُبَههم عَلَى النَّاسِ، وَلبَّسوا عَلَيْهم دِيْنَهم، فقَلَبُوا الحقَّ بَاطلاً، والبَاطِل حَقّاً،

وتَمَسَّكُوا بِالْمُتَشابه وَتَركُوا الْمُحْكَمَ؛ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا!! ثُمَّ الويل والثُّبور لِمَنْ خَالفَ؛ فَالسَّيف مَوعِدُهُ!!

وَلئِنْ كَان الأمر كَذلك، فَلا تعجبْ لِلضَّعف الَّذي تراهُ يَسري في جَسدِ الأمة، والَّذي تسَبَّب ـ عكساً ـ في تَقْويةِ أَهْلِ البِدَعِ وَمِنْهُمُ الْخَوارج؛ فَإنَّ لِذَلِكَ عدَّة أَسْباب، مِنْ أَهَمِّهَا:

قلَّة العلم السُنِّي السَّلفي وظهور الجهل؛ فإنَّ قلَّة العِلم وذهاب حملته نذير شرٍّ على الأمَّة، فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (كتاب العلم/ باب رفع العلم وظهور الجهل) (١/رقم ١٨٧/٨٠ ـ فتح)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب العلم/ باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان) (٤/رقم ٢٦٧١(٨)/٢٠٥٦) كلاهما من طريق عبدالوارث: ثنا أبو التياح عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ مِنْ أَشْراطِ السَّاعة أنْ يُرفعَ العلمُ، ويثْبتَ الجهلُ، ويُشربَ الخمرُ، ويَظهرَ الزِّنا»**.

وأخرج الشَّيخان أيضاً في صحيحيهما مِنْ حديث شعبة عن قتادة عن أنسٍ قال: لأُحدِّثنَّكم حديثاً لا يُحدِّثكم أحدٌ بعدي، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ مِنْ أشراطِ السَّاعةِ أنْ يَقلَّ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ، ويَظهرَ الزِّنا، وتكثرَ النِّساءُ، ويقلَّ الرِّجالُ حتَّى يكون لخمسين امرأةً القيِّم الوَاحد»**.

هذا لفظ البخاري (١/رقم ١٨٧/٨١ ـ فتح)، وهو عند مسلم (٤/ رقم ٢٦٧١(٩)/ ٢٠٥٦) وفيه: «أن **يرفع العلم**» بدل «**أن يقل**».

والشَّاهدُ مِنْ حديث أنس قوله ﷺ: **«إنَّ مِنْ أشراط السَّاعة: أنْ يُرْفَع العِلم ويظهر الجهل»**، فذكر أنَّ ذَلِكَ مِنْ أوائلِ عَلاماتها!! فيرفع العلم ويظهر نقيضه وهو الجهلُ.

وقد بيَّن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كيفية رفع العلم في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ المتَّفق عليه حيث قالَ: **«إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يَقْبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ النَّاس رُؤساً جُهَّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»** لفظ البخاري.

قال العلَّامة القرطبي في «المفهم» (٦/٧٠٥): «فهذا نصٌّ في أنَّ رفع العلم لا يكون بمحوه من الصُّدور بل بموت العلماء وبقاء الجهَّال الذين يتعاطون مناصب العلماء في الفتيا والتعليم، يفتون بالجهل، ويُعلِّمونه، فينتشر الجهل ويظهر».

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/١٧٩) شارحاً قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث أنس «أن يرفع العلم» قال: «المراد برفعه موت حملته».

ومِنَ المسَلَّم به أنَّه إذا رُفع العلمُ رُفعَ العمل به! إذْ كَيْفَ تَعْمَلُ النَّاس بالعِلْم الصَّحيح وقد رُفِعَ بموتِ أهْلِهِ، وظَهَر الجهل وأهله؟! لذا قَال العلَّامة القرطَبي: «فإنَّه إذا ذهبَ العلمُ بموت العلماء، خلفهم الجهَّال، فأفتوا بالجهل، فعُملَ به، فذهب العلمُ والعمل...».

وأخرج الدارمي في «سننه» (رقم ٩٥/٢٤٧) بسند صحيح عن هلال بن خباب قال: «سألت سعيد بن جبير، قلت: ما عَلَامةُ هَلاك النَّاس؟ قال: إذَا هَلكَ عُلماؤهم».

ولا تعارض بين روايتي حديث أنس «أن يرفع» و«أن يقل»، فإنَّ أهل العلم قد وفَّقوا بينهما، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/١٧٩): «فيحتمل أن يكون المراد بقلتهِ أولُّ العلامة، وبرفعه آخرها، أو أُطلقت القلَّة وأُريد بها العدم، كما يطلق العدم ويراد به القلَّة، وهذا أليق لاتحاد المخرج».

ومن النُّكات العلمية المهمَّة الَّتي لفتَ إليها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في حديث أنسٍ من رواية شعبة عن قتادة، قوله: «وكأنَّ هذه الأمور الخمسة خُصَّت بالذِّكر لكونها مشعرةٌ باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي الدينُ؛ لأنَّ رفع العلم يخلُّ به، والعقل؛ لأنَّ شرب الخمر يخلُّ به، والنسب؛ لأنَّ الزنا يخلُّ به، والنفس والمال؛ لأنَّ كثرة الفتن تخلُّ بهما».

قال العلاَّمة الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الاعتصام» (٢/١١ ـ ١٢) مبيِّناً طرق الرَّاسخين في العلم حتى نسلكها، ومحذِّراً من طرق أهلِ الزيغ كي نتجنبها، وذكر أدلَّةً في المقام منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً..» الحديث ـ عند أحمد (٧/ رقم٤١٤٢) بسندٍ حسنٍ، وهو عند غيره ـ، ثم قال: «ففي الحديث أنَّها خطوط متعددة غير محصورة بعددٍ، فلم يكن لنا سبيل حصرِ عددها من جهة النَّقل، ولا لنا أيضاً سبيل إلى حصرها من جهة العقل أو الاستقراء.

أمَّا العقل؛ فإنه لا يقضى بعدد دون آخر؛ لأنَّه غير راجعٍ إلى أمر محصورٍ، **ألا تَرى أنَّ الزَّيغ راجعٌ إلى الجهالات! ووجوهُ الجهل لا تَنحصرُ...**

وأمَّا الاستقراء فغيرُ نافعٍ أيضاً في هذا المطلب؛ لأنَّا لما نظرنا في **طُرقِ البِدَعِ مِن حين نبغت، وَجدناها تزدادُ على الأيَّام، ولا يأتي زمانٌ إلاَّ وغريبةٌ من غرائب الاستنباط تحدثُ، إلى زَماننا** هذا، وإذا كان كذلك، **فيمكنُ أنْ يَحدثَ بعد زماننا استدلالاتٌ أُخر لا عهدَ لنَا بِهَا فيما تقدَّم، لا سيَّما عند كثرةِ الجهل، وقلَّة العِلم، وبُعد النَّاظرين فيه عن درجة الاجتهاد...».**

فها أنت تَرى أنَّه (رَحِمَهُ اللَّهُ) أَرْجَعَ الأمرَ في كَثْرة البدعِ إِلَى قِلَّةِ العِلْم وَكَثْرةِ الجهل، وصدَقَ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، فمَا زلنا نرى استدلالات لا عهدَ لنَا ولاَ لأهلِ العلم قَبْلَنَا بِهَا! كما هو حال الخوارج ومَن لفَّ لفَّهم مِنْ أفراخهم وإنْ تَسمَّوا بأسماء برَّاقة خدَّاعة، فالحقيقة واحدةٌ!

ومِنْ جميل ما نقله العلاَّمة الشَّاطبي (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن بعض أهل العلم قوله عقب ذِكْرِهِ حَديثَ عبدالله بن عمرو المتقدِّم ذِكْرُهُ في (رفع العِلم) قال: **«قالَ بعضُ العُلماء: تدبَّروا هذا الحديث؛ فإنَّه يدلُّ على أنَّه لَا يُؤتى النَّاسُ قطُّ من قِبَلِ عُلمائهم، وإنَّمَا يُؤتَونَ مِن قِبَلِ أنَّه إذا مَاتَ عُلماؤهم أفتى مَن ليس بعالمٍ، فيُؤتى النَّاسُ مِن قِبَلِهِ، وَقد صُرِّف هذا المعنى تَصريفاً:**

فقيل: ما خان أمينٌ قطُّ، ولكنَّه ائتُمن غيرُ أمينٍ فخَانَ، فقالَ: ونحنُ نقولُ: ما ابتدعَ عالِمٌ قطُّ، ولكنَّه استُفتي مَنْ ليس بعالمٍ، فضلَّ وأضلَّ» «الاعتصام» (١٢٩/٣ ـ ط مشهور).

فبتحصيل العلم السُّني الصَّافي ونشره بين النَّاس والصَّدع به، تَنْحَسِرُ ـ بإذن الله البدع ـ وتنكسرُ شَوكة أهلها؛ فمَا عَلا سيفُ السُّنَّة والعلم رؤوس أهل البدع إلاَّ وَقَطعها!! والتَّأريخ خيرُ شَاهدٍ، فانظر إنْ شِئْتَ إلى مُنَاظرة ابن عبَّاسٍ ﷺ للخوارج الحرورية حيث أتاهم في معسكرهم وناظرهم وحدَهُ!! وليس معَهُ إلاَّ سَيف العِلْم، وتوفيق الله سَابق لَه، فعَلا تلك الرُّؤوس وقطع شُبهها ودحضَ باطلها حتَّى رجع من القوم نحواً من الثلث.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل قد سُجنَ وجُلدَ وعُذِّبَ على أنْ يَقولَ مَقولَة الكُفْرِ فَأَبَى ﷺ، وجَابَه ذَلك كلّه بسيفِ العِلْمِ والسُّنَّة، فانحسر الباطل وأهله بمنَّة الله وكرمه، ثم بثباته ﷺ على الحقِّ.

وهكذا الحال فيمن نظر إلى أحوال المصلحين المجدِّدين لهذه الأمة أمر دينها حتَّى في هذه الأزمان المتأخرة، فقد جمعوا بين سلاح التَّوكل على الله والاستعانة به، وسلاح العلم الصَّحيح، فأظهرهم الله وخلَّد ذكرهم ونصرَ بهم دينه.

ولعلَّ في هذا القدر كفاية في بيانِ سبب من أعظم أسباب ظهور البدع، وإنْ كانت هناك أسبابٌ أخرى لعلي أتعرض لها في مقام آخر.

وعودٌ على بدء؛ فأقولُ: إنَّ منَ الأحاديث الَّتي شغَّبَ بَها أهل الأهواء وفسَّروها على أهوائهم، الأحاديث الآمرة بإخراج اليهود والنَّصارى من جزيرة العرب، فجاؤوا بما يدلُّ على انحرافِ فهمهم وجهلهم الفَاضح! حيث عدُّوا ذلك مِنَ المكفِّرات الَّتي يُبرِّرون بها أعمالهم الإجرامية في هتك الحقوق والممتلكات والاعتداء على المعصومين! بل ذهبوا إلى أبعدَ من ذلك ففهموا مِنَ (الأمر بإخراجهم) أَسْرهم بَل وَقتلهم!!

ولا زلتُ أذكرُ ظُهورَ أحدِ رُؤوس الفتنة وقد خرجَ في شريط كمبيوتر مُسجل أراني إياه بعض طلبتي، وهو يَصْرُخُ وَيُهدِّدُ بأنه سَيُحَاربُ المنافقين!

وسَيُطَبِّقُ ـ زَعَم ـ وصيةَ رسول الله ﷺ في إخراجِ المشركين منْ جزيرةِ العرب!! وقد جعلَ خَلف ظهره لوحةً كبيرةً كُتبَ عليها حديث: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»!!

وعلى أيَّة حالٍ فإنني رغبتُ في كشف الأمر وتجليته ذبّاً عن سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ودفاعاً عَنْ هَذا العِلْم الشَّريف مِنْ تَلويثِ هَؤلاء الجهلاء الدُّخلاء!

والطَّريقة الَّتي اتَّبعتُها في هذه الكتابةِ المختصرة هي:

أ ـ أذكرُ بعض الأحاديث الواردة في الباب، وهي تكفي في الدِّلالة على المراد.

ب ـ أُتبع ذلك بنقولاتٍ عن بعضِ أهل العِلمِ في هذا المقام، تُظهر جلياً الحقَّ للمُنصف الزَّاغب في معرفته، وسميته: «**إمتاعُ ذوي القُرُب بِفَهمِ حَديثِ أخرجوا المشركين مِنْ جزيرة العَرب**»، وما توفيقي إلا بالله.

فأقول مستعيناً بالله:

الحديث الأول: عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ أوصَاهم قبلَ مَوتهِ بِثَلاثٍ، قالَ: «**أَخرِجوا المشركين منْ جَزيرة العَرَب، وَأَجيزُوا الوَفْدَ بِنحو ما كنتُ أُجيزهُم**»، وسكتَ عن الثَّالثة، أوْ قَال: نَسيتُها.

أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد/ باب جوائز الوفد وباب هل يستشفع إلى أهل الذمة؟ ومعاملتهم)، و(كتاب الجزية والموادعة/ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب)، و(كتاب المغازي/ باب مرض النبي ﷺ ووفاته) (٦/ رقم ١٧٠/٣٠٥٣ ـ فتح)، و(٦/ رقم ٢٧٠/٣١٦٨ ـ فتح)، و(٨/ رقم ١٣٢/٤٤٣١ ـ فتح)، ومسلم في (كتاب الوصية/ باب ترك الوصية لمن ليس لَه شيءٌ يوصي فيه) (٣/رقم ٢٠(١٦٣٧)/١٢٥٧)، وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة والفيء) (٣/رقم ٤٢٣/٣٠٢٩) كلهم من طريق سليمان الأحول عن سعيد بن جبير به.

جاء عند أبي داود عقبه: «قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها».

فائدة: قال العلاَّمة الإمام الألباني (رَحِمَهُ اللَّهُ) عقبَ حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «فيه دلالة على جواز إطلاق لفظة (المشرك) على أهل الكتاب؛ فإنَّهم هم المعنيون بهذا الحديث، كما يدلُّ عليه الحديث السَّابق، ومثلُه الحديث الآتي» «الصَّحيحة» (رقم ١١٣٣).

الحديث الثاني: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لأخرجنَّ اليهودَ والنَّصارى مِنْ جزيرةِ العَربِ حتَّى لا أدعُ إلاَّ مُسلماً**».

أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير/ باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب) (٣/ رقم ٦٣(١٧٦٧)/ ١٣٨٨)، وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة والفيء) (٣/رقم ٣٠٣٠/٤٢٤)، والترمذي في «الجامع» (كتاب السير/ باب إخراج العرب اليهود من جزيرة العرب) (٤/رقم ١٦٠٧/١٥٦) من طرقٍ عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: أخبر عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول... فذكره.

الحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: «حسنٌ صحيحٌ».

وأخرجه أبو داود في (الكتاب والباب السابقين) (٣/رقم ٣٠٣١/٤٢٥)، والترمذي كذلك (٤/رقم ١٦٠٦/١٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (كتاب السير/ إجلاء أهل الكتاب) (٨/ رقم ٨٦٣٣/٥٨) من طريق سفيان ـ وهو الثوري ـ عن أبي الزبير عن جابر.

ولم يذكر أبو داود لفظه وإنما قال: «بمعناهُ، والأول أتم».

وأما لفظ الترمذي ففيه: «**لئن عشتُ إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»، وأمَّا لفظ النسائي فهو بمثل لفظ ابن جريج الأول، وفيه لفظة «حتى لا يبقى» بدل «حتى لا أدع» والمعنى واحدٌ.

الحديث الثالث: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ؛ فأجلى رسول الله بني النضير، وأقرَّ بني قريظة ومنَّ

عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أنَّ بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم؛ بني قينقاع - وهم قوم عبدالله بن سلام -، ويهود بني حارثة، وكل يهوديٍّ كان بالمدينة.

أخرجه مسلم في (كتاب الجهاد والسير/ باب إجلاء اليهود من الحجاز) (٣/ رقم ٦٢(١٧٦٦)/ ١٣٨٧).

الحديث الرابع: عن أبي عبيدة بن الجرَّاح ﷺ قال: آخرُ ما تكلَّم به النبيُّ ﷺ: «**أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ رقم ٢٢١/١٦٩١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥٧/٤)، والدارمي في «السنن» (٢٣٣/٢)، وأبو يعلى الموصلي في «المسند» (٢/رقم ١٧٧/٨٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٨/٩) من طرقٍ عن يحيى بن سعيد عن إبراهيم بن ميمون ثنا سعد بن سمرة بن جندب عن أبيه به.

وإسناده صحيحٌ، وصححه الإمام ابن عبدالبر في «التمهيد» (١٦٩/١)، والعلامة الألباني في «الصحيحة» (رقم ١١٣٢).

التعليق:

دلَّت هَذهِ الأَحَادِيْثُ - وما جَاءَ فِي مَعْنَاها - فِي ظَاهِرِهَا عَلَى وجُوب إِخْراجِ اليَهُودِ وَالنَّصَارى أو المشْرِكِيْنَ مِنْ جَزِيْرَةِ العَرَبِ؛ لَكَنْ تَبْقَى عِدَّة أُمُورٍ لاَ بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا كَيْ يَنْجَلي مَعْنَى هَذهِ الأَحَاديث، مِنْ ذَلك:

١ - مَا الْمُرادُ بِجَزِيْرَةِ العَرَبِ؟ هَلْ هِيَ كُلُّ مَا يُطْلَقُ عَليهِ مُسَمَّى جَزِيرة العَربِ؟ أَمْ بَعْضِهَا؟

٢ - هَلْ سَلِمَتْ هَذهِ الأَحَادِيْث مِنْ مُعَارضٍ لَهَا مِنْ أَحَادِيْثِ رَسُولِ الله ﷺ؟

٣ ـ هَل الإِذْنُ بِدُخُولِهِم هُو لِكُلِّ أَحَدٍ أَمْ هُو مُخْتَصٌّ بِالإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ؟ وَعَلَيْهِ فَهل يُخْرِجُهم كل أحدٍ أو هو للوالي؟

٤ ـ هَل هُناكَ مَعْنًى آخَر لِلإِخْرَاجِ سِوَى الإِبْعَادِ وعدم الاسْتِيْطَان!؟ أَيْ هَلْ مِنْ مَعَانِي الإِخْرَاجِ الْمُرَادِ فِي هذهِ الأَحَاديث هُو قَتْلهم وَذَبْحهم!؟

٥ ـ لِمَاذَا أَجْلَى عُمَر رَضِي الله عنْهُ يَهُودَ خَيْبَر؟

٦ ـ وَهَل الْمَنْع الوَارِدِ فِي الأَحَادِيْثِ يَشْمَلُ مُرُورَهُم عَلَيْهَا أَيْضاً أَمْ لاَ يَشْمَلُهُ؟

٧ ـ هَلْ يَدْخُل فِي الْمَنْعِ البَحْر أيضاً أَمْ هَذَا خَاصٌّ بِالبرِّ؟

٨ ـ مَا العَمَلُ فِيْمَا إِذَا كَانُوا تُجَّاراً يَمُرُّونَ بِتِجَارَاتِهم عَلَى الْحِجَازِ؟

كلُّ هذا وغيرهُ مما قدْ يَرِدُ حولَ هَذه الأحاديث تجدُ إجابتَهُ فيما أَنْقُلُه لَكَ عَن بَعضِ أَهْل العِلْمِ، في هذا المقام، فمِنْ ذَلك:

١ ـ ذكر الإمام البخاري في «الجامع الصحيح» (كتاب الجهاد/ باب جوائز الوفد) (٦/ص١٧٠ ـ فتح) عقب حديث ابن عبَّاس المتقدم: «قال يعقوب بن محمد: سألت المغيرة بن عبدالرحمٰن عن جزيرة العرب؟ فقال: مكة والمدينة واليمامة واليمن».

وأسند أبو داود في «السنن» (كتاب الخراج) (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) (٣/رقم ٣٠٣٣/٤٢٥) عن سعيد بن عبدالعزيز أنَّه قال: «جزيرة العرب: ما بين الوادي إلى أقصى اليمن إلى تُخوم العراق إلى البحر».

وقال أبو داود ـ عقبه ـ قُرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهدٌ: أخبرك أشهب بن عبدالعزيز قال: قال مالك: عمرُ أجلى أهل نجران ولم يُجلوا من تيماء؛ لأنها ليست من بلاد العرب، فأما الوادي فإني أرى إنما لم يُجل من فيها من اليهود أنهم لم يروها من أرض العرب».

وبوَّب الإمام الحافظ أبو محمد البغوي (ت٥١٦هـ) في «شرح السنة»

(١٨٠/١١) لحديث ابن عبَّاس (باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب) ثم قال: «قال يعقوب بن محمد.. ـ ثم نقل قوله المتقدم وقول سعيد بن عبدالعزيز السابق، وزاد ـ وقال أبو عبيد: جزيرة العرب: ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وأما العرض فما بين رمل بيرين إلى منقطع السماوة.. ـ ونقل قول مالك السابق أيضاً ـ».

وذكر الإمام أبو عمر بن عبدالبر (ت٤٦٣هـ) في «التمهيد» (١٦٩/١ ـ ١٧٣) رواية عمر وإجلاءه يهود خيبر إلى تيماء وأريحاء، وأسند حديث أبي عبيدة المتقدم وصحَّحه، ثم ذكر قول مالك وأبي عبيد المتقدم.

٢ ـ قال الإمام الحافظ أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ) في «مشكل الآثار» (٦٦٩/٥): «فتأملنا هذا الحديث، فاحتجنا إلى العلم ـ **بجزيرة العرب ما هي**» فوجدنا محمد بن الحسن فيما قاله لنا محمد بن العباس الرازي ـ ثم أسنده إلى محمد بن الحسن ـ أنَّه قال: فأما أرض العرب يعني التي لا يترك فيها اليهود والنصارى يقيمون فيها إلا مقدار ما يقضون حوائجهم من بيع تجاراتهم التي قدموا بها فمثل مكة والمدينة والطائف والربذة، ووادي القُرى، هذا كلُّه من أرض العرب».

ثم نقل قول أبي عبيد المتقدم ونحوه قول الأصمعي وغيرهما، ثم أسند إجلاء النبي ﷺ لبعض اليهود ـ وهو حديث ابن عمر المتقدم ـ ثم بين سبب الإجلاء من خيبر؛ بأن النبي ﷺ صالحهم على شطر ما يخرج منها، **فلما كانوا زمن عمر بن الخطاب غالوا في المسلمين وغشوهم، ورموا ابن عمر من فوق بيت، ففدعوا يديه، فقال عمر: من كان له سهم من خيبر فليخرص حتى نقسمها بينهم... فهذا الذي روي مما تناهى إلينا في السبب الذي به أجلى عمر من أجلى من يهود خيبر.**

٣ ـ قال العلَّامة الفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني الشافعي (ت٥٥٨هـ) في كتابه «البيان» ـ في كلام مطوَّلٍ ـ وهو شرح لكتاب «المهذب» للشيرازي (٢٨٩/١٢) (كتاب السير/ باب صفة عقد الذمة): «ولا يجوز **لأحدٍ من الكفار الإقامة في الحجاز**، ولا يجوز **للإمام** أن يصالحهم

على ذلك؛ فإن فعل... كان الصلحُ فاسداً، لما روى ابن عباس.. ـ فذكر حديثه المتقدم ـ وروى عمر أن النبي ﷺ قال: «**لأخرجن اليهود من جزيرة العرب**»، وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**».

والمراد بجزيرة العرب في هذه الأخبار: الحجازُ، وهي: مكة والمدينة واليمامة ومخالفيها ـ ثم ذكر سبب التسمية بذلك، وقال ـ **والحجاز بعض جزيرة العرب**؛ فإن جزيرة العرب في قول الأصمعي... ـ ثم نقل بعض الأقوال المتقدمة في ذلك ثم قال ـ **والدليل على أن المراد بهذه الأخبار الحجاز لا غير**: ما روى أبو عبيدة بن الجراح: إن آخر ما تكلم به النبي ﷺ أن قال: «**أخرجوا اليهود من الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب**» لـ«**أنّه صالحهم على ترك الربا، فنقضوا العهد**»، وروي أنّ عمر رضي الله عنه أجلى أهل الذمة من الحجاز فلحق بعضهم بالشام، وبعضهم بالكوفة، وأجلى أبو بكر رضي الله عنه قوماً من اليهود من الحجاز، فلحقوا بخيبر، وأجلى عمر رضي الله عنه قوماً فلحقوا بخيبر أيضاً، وأُقروا فيها، وهي من جزيرة العرب.

وما روي **أنَّ أحداً من الخلفاء الراشدين أجلى مَن في اليمن من أهل الذمة وإن كانت من جزيرة العرب، فدل على ما ذكرناه**، وروي أيضاً أن نصارى نجران أتوا علياً رضي الله عنه فقالوا له: إن الكتاب بيدك والشفاعة على لسانك، وإن عمر أخرجنا من أرضنا، فرُدَّنا إليها، فقال علي رضي الله عنه: إن عمر كان رشيداً في فعله، وإني لا أُغيِّرُ شيئاً فعله عمر.

ونجران ليست من الحجاز، وإنما لنقضهم الصُلح الذي صالحهم النبي ﷺ على ترك الربا.

فإن دخل داخلٌ منهم الحجاز **بغير إذن الإمام**، أخرجه وعزره إن كان عالماً أن دخوله لا يجوز، وإن **استأذن الإمام** بعضهم في الدخول، **نظر الإمام**: فإن كان في دخوله مصلحة للمسلمين، إمَّا لأداء رسالةٍ أو عقد ذمَّة أو هدنةٍ أو حمل ميرةٍ، أو متاع فيه منفعة للمسلمين، جاز له أن يأذن له في الدخول؛ لقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ

﴿ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾، فأجاز: أن يُسمع المسلمون المشركَ القرآن، وذلك يتضمن الدخول...

ولا يجوز لمن دخل منهم الحجاز **بإذن الإمام** أن يُقيم في موضعٍ أكثر من ثلاثة أيام، لما روى أن عمر ﷺ أجلى اليهود والنصارى من الحجاز، وأذن لمن دخل منهم تاجراً أن يقيم ثلاثاً، ولأنه لا يصير مقيماً بالثلاث، ويصير مقيماً بما زاد، **فإن أقام في موضع ثلاثة أيام ثم انتقل منه إلى موضع وأقام فيه ثلاثة أيام، ثم كذلك يقيم في كل موضعٍ ثلاثاً فما دون؛ جازَ؛ لأنه لم يصر مقيماً في موضعٍ.**

فإن كان له دين في موضع ولم يمكنه أن يقبضه في ثلاثٍ، لم يُمكَّن من الإقامة أكثر من ثلاث، بل يوكِّل من يقبضه له.

وإن دخل الحجاز بإذن الإمام ومرضَ جازَ لَه أن يقيم في موضعٍ حتى يبرأ، وإن زادت إقامته على ثلاثٍ؛ لأن المريض يشق عليه الانتقال...

فرعٌ: قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: ولا يُمنعُ أهل الذمة من ركوب بحر الحجاز والاجتياز فيه؛ لأنَّه لا حُرمةَ للبحار، ولهذا لم يُبعث أحدٌ من الأنبياء صلوات الله عليهم إلى البحار، ويمنعون من الإقامة في سواحل بحر الحجاز وجزائره؛ لأنَّ لها حرمة أرض الحجاز»، انتهى كلام العمراني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ قال العلَّامة الحافظ النووي (ت٦٧٦هـ) في «شرح مسلم» (٢١٢/١٠) عند شرحه لحديث عمر وقول النبي ﷺ ليهود خيبر: «**نقركم بها على ذلك ما شئنا**»، فقروا بها حتى أجلاهم عمر إلى **تيماء وأريحاء** ـ قال ـ: «في هذا دليلٌ **على أن مراد النبي ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب إخراجهم من بعضها، وهو الحجاز خاصَّة؛ لأن تيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز**، والله أعلم».

٥ ـ ونقل أيضاً في «شرحه لمسلم» (٩٣/١١) الأقوال التي حكاها البغوي وقال: «وحكى الهروي عن مالك: أن جزيرة العرب **هي: المدينة**، والصَّحيح المعروف عن مالك أنها: مكة والمدينة واليمامة واليمن، **وأخذ**

بهذا الحديث مالك والشافعي وغيرهما من العلماء، فأوجبوا إخراج الكفار من جزيرة العرب، وقالوا: لا يجوز تمكينهم من سكناها، ولكن الشافعي خصَّ هذا الحكم **ببعض الجزيرة وهو الحجاز، وهو عنده مكة والمدينة واليمامة وأعمالها دون اليمن وغيره مما هو من جزيرة العرب**، بدليل آخر مشهور في كتبه وكتب أصحابه.

قال العلماء: لا يمنع الكفَّار من التَّردد مسافرين في الحجاز، ولا يُمَكَّنُونَ مِنَ الإقامة فيه أكثر من ثلاثة أيام.

قال الشَّافعي وموافقوه: **إلاَّ مَكَّةَ وَحرمها**، فلا يجوز تمكين كافرٍ من دخوله بحالٍ، فإنْ دخله في خفية وجبَ إخراجه، فإن ماتَ ودُفن فيه نبش وأخرج ما لم يتغير، هذا مذهب الشافعي وجماهير الفقهاء.

وجوَّز أبو حنيفة دخولهم الحرم، وحجة الجماهير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ الآية».

٦ ـ وقال أيضاً في «شرحه لمسلم» (٩١/١٢) عند شرحه لإجلاء يهود بني النظير وقريظة (حديث ابن عمر): «فيه أن المعاهد والذمي إذا نقض العهد صار حربياً، وجرت عليه أحكام أهل الحرب، **وللإمام** سبي من أراد منهم، **وله** المن على من أراد.

وفيه أنه إذا منَّ عليه ثم ظهرت منه محاربة انتقض عهده، وإنما ينفع فيما مضى لا فيما يستقبل، وكانت قريظة في أمان ثم حاربوا النبي ونقضوا العهد وظاهروا قريشاً على قتال النبي ﷺ».

٧ ـ وقال أيضاً في «المنهاج» ـ وهو في فقه الشافعية ـ (٣٩٧/٩ ـ مع شرحه النجم الوهاج): «ويُمنعُ كلُّ كافرٍ **من استيطان الحجاز، وهي مكة والمدينة واليمامة وقراها**، وقيل: **له الإقامة في طرقه الممتدة**، ولو دخل بغير **إذن الإمام** أخرجه وعزره إن علم أنه ممنوع، **فإن استأذن** أذنَ له إن **كان مصلحة للمسلمين** كرسالة وحمل ما يحتاج إليه، فإن كان لتجارة ليس فيها كبير حاجة **لم يأذن له** إلا بشرط أخذ شيء منها، ولا يقيم إلا ثلاثة أيام،

ويمنع من دخول حرم مكة، فإن كان رسولاً **خرج إليه الإمام أو نائبه يسمعه . . .**».

٨ ـ قال الإمام ابن قدامة (ت٦٢٠هـ) في «المغني» (٢٤٢/١٣ ـ ط التركي): «فصل: ولا يجوز لأحدٍ **منهم سُكنى الحجاز**، وبهذا قال مالكٌ والشافعي؛ إلاَّ أنَّ مالكاً قال: أرى أن يُجلوا من أرض العرب كلِّها؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»، وروى أبو داود بإسناده عن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلماً**»، قال الترمذي: حديث حسنٌ صحيح، وعن ابن عباس قال: أوصى رسول الله ﷺ بثلاثة أشياء: قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» وسكت عن الثالثة، رواه أبو داود.

وجزيرة العرب ما بين الوادي إلى أقصى اليمن قاله سعيد بن عبدالعزيز . . ـ ثم نقل أقوالاً بنحو مما تقدَّم في تحديدها وسبب تسميتها، ومما نقله قول ـ **أحمد**: **جزيرة العرب المدينة وما والاها، يعني أنَّ الممنوع من سُكنى الكفار به المدينة وما والاها، وهو مكة واليمامة وخيبر وينبع وفدك ومخالفيها وما والاها، وهذا قول الشافعي؛ لأنهم لم يُجْلوا من تيماء ولا من اليمن**، وقد روى أبو عبيدة بن الجراح أنه قال: إن آخر ما تكلم به النبي ﷺ أن قال: «**أخرجوا اليهود من الحجاز**»، **فأما إخراج أهل نجران منه؛ فلأن النبي ﷺ صالحهم على ترك الربا، فنقضوا عهده، فكأن جزيرة العرب في تلك الأحاديث أُريدَ بها الحجازُ**، وإنَّما سُمِّي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد، ولا يمنعون من أطراف الحجاز، كتيماء وفيد ونحوهما، لأن عمر لم يمنعهم من ذلك.

فصل: **ويجوز لهم دخول الحجاز للتجارة؛ لأنَّ النصارى كانوا يتجرون إلى المدينة في زمن عمر** ﷺ، وأتاه شيخٌ بالمدينة فقال: أنا الشيخ النصراني، وإنَّ عاملك عَشَّرني مرتين، فقال عمر: وأنا الشيخ الحنيف، وكتب لَه عمر: أن لا يُعشروا في السَّنة إلا مرَّة.

ولا يأذن لهم في الإقامة أكثر من ثلاثة أيام على ما روي عن عمر ﷺ ثم ينتقل عنه، وقال القاضي: يُقيم أربعة أيامٍ حدَّ ما يُتمُّ المسافر الصلاة.

والحكم في دخولهم إلى الحجاز في اعتبار الإذن كالحكم في دخول أهل الحرب دار الإسلام.

وإذا مرض بالحجاز جازت لَه الإقامة؛ لأنه يشق الانتقالُ على المريض، وتجوز الإقامة لمن يمرضه؛ لأنه لا يستغني عنه.

وإن كان له دينٌ على أحد وكان حالاً أُجبر غريمه على وفائه، فإن تعذر وفاؤه لمطل أو تغيب عنه فينبغي أن يمكَّن من الإقامة؛ ليستوفي دينه؛ لأنَّ التعدي من غيره وفي إخراجه ذهابُ ماله. . . . **وإن دعت الحاجة إلى الإقامة ليبيع بضاعته، احتمل أن يجوز**؛ لأنَّ في تكليفه تركها أو حملها معه ضياع مالهِ، وذلك مما يمنع من الدخول بالبضائع إلى الحجاز فتفوت مصلحتهم، وتلحقهم المضرة بانقطاع الجلب عنهم، ويحتمل أن يمنع من الإقامة؛ لأن له من الإقامة بُدّاً، فإن **أراد الانتقال إلى مكان آخر من الحجاز، جاز**، ويقيم فيه أيضاً ثلاثة أيام أو أربعة على الخلاف فيه، **وكذلك إذا انتقل منه إلى مكان آخرٍ جاز، ولو حصلت الإقامة في الجميع شهراً، وإذا مات في الحجاز دُفن به**؛ لأنه يشق نقله، وإذا جازت الإقامة للمريض، فدفن الميت أولى».

٩ ـ قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ) كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨/٦٣٠) وقد سئل هل المدينة من الشام؟ فأجاب: «مدينة النبي ﷺ من الحجاز باتفاق أهل العلم، ولم يقل أحد من المسلمين ولا غيرهم إن المدينة النبوية من الشام، وإنما يقول هذا جاهلٌ بحدِّ الشام والحجاز، جاهل بما قاله الفقهاء وأهل اللغة وغيرهم، ولكن يقال المدينة شامية، ومكة يمانية: أي المدينة أقرب إلى الشام، ومكة أقرب إلى اليمن، وليست مكة من اليمن ولا المدينة من الشام.

وقد أمر النبي ﷺ **في مرض موته: أن يخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وهي الحجاز**؛ فأخرجهم عمر ﷺ **من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخاليف هذه البلاد، ولم يخرجهم من الشام**؛ بل لما فتح الشام أقر اليهود والنصارى بالأردن وفلسطين وغيرهما، كما أقرهم بدمشق وغيرها...».

١٠ ـ قال العلاَّمة الفقيه كمال الدين الدَّميري (ت٨٠٨هـ) في «النَّجم الوهاج شرح المنهاج» (٣٩٧/٩ ـ ٤٠٢) شارحاً كلام النووي المتقدم في «المنهاج»: «...قال الجويني والقاضي حسين: **الجزيرة هي الحجاز**.

والمشهور: أن الحجاز بعض الجزيرة، فلمَّا مات النَّبي ﷺ لم يتفرغ أبو بكر لإخراجهم، فأجلاهم عمر، وهم زهاء أربعين ألفاً، **ولم ينقل أنَّ أحداً من الخلفاء أجلاهم من اليمن مع أنها من الجزيرة، فدلَّ على أنَّ المراد: الحجاز فقط**...

قال: (وهي مكَّة والمدينة واليمامة وقراها)، **كذا فسَّرها الشافعي، فالطَّائف مع واديها وهو وج من قرى مكَّة، وخيبر من قرى المدينة**.

وقال في «الوسيط»، و«النهاية»: إن في بعض الكتب تصحيف اليمامة بالتهامة، قال ابن الصلاح: وهو غلطٌ موشح بعجمة؛ فإن تهامة لا تدخلها الألف واللام، واليمامة تلزمها الألف واللام.

وجزيرة العرب: من أقصى عدن إلى ريف العراق، وفي العرض من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام، ونقل الهروي عن مالك: أن الجزيرة: المدينة خاصة، والصَّحيح عنه كما قال الشافعي... ـ ثم بين سبب تسمية جزيرة العرب بذلك، وموقع اليمامة... ـ

قال: (ولو دخل **بغير إذن الإمام**): **أي أو نائبه** (أخرجه وعزَّره إن علم أنه ممنوع)؛ لأن الدخول إنما أجيز للحاجة، **فوقف على رأي الإمام أو نائبه**، ويعزر عند العلم بالمنع؛ لجرأته على حرمات الله، فإن جهل ذلك وأمكن صدقه... فلا، لأنه لا يعرف حدود الله العامة.

فرع: **لا يدخلون سائر المساجد إلا بإذن**؛ لأنَّ النبي ﷺ ربط ثمامة بن أثال في المسجد، وأنزل ثقيفاً فيه، وكذا سبي بني قريظة والنضير.

وجواز الإذن منوط بالحاجة مثل: أن يسلم أو يسمع القرآن أو يستفتي، ولا يدخلون للأكل والشرب، بخلاف المسلم، قاله ابن الصباغ وغيره.

والآذنُ لَه: الإمام أو نائبه، وكذا آحاد المسلمين على الأصح...

قال: (فإن استأذن: أُذن له إن كان مصلحة للمسلمين، كرسالةٍ وحمل ما يحتاجُ إليه) أي: يحتاج إليه المسلمون من ميرة أو متاعٍ، وفي معناه: عقد الهدنة للمصلحة، واحترز عما إذا لم تكن مصلحة؛ فلا يجوز....

قال: (ولا يقيم إلا ثلاثة أيام) أي فأقل؛ لما روى ابن أبي شيبة عن نافع عن ابن عمر: «لا تتركوا اليهود والنصارى بالمدينة فوق ثلاث، قدر ما يبيعون سلعتهم»، ولأن الثلاث في حكم القلة شرعاً، ولا يُحسب منها يوم الدخول والخروج، كما سبق في صلاة المسافر...

قال: (ويمنع من دخول حرم مكة) لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾، ويدل على أن المراد به هنا: الحرم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي إن خفتم انقطاع التجارة والميرة، إذ من المعلوم أن الجلب ليس إلى المسجد نفسه.

قال: (فإن كان رسولاً.. **خرج إليه الإمام أو نائبه يسمعه**)؛ حسماً للباب، هذا إذا امتنع من أدائها إلا إليه، وإلا بعث إليه من يسمع وينهى إليه، كذا إن دخلَ لتجارة، خرج إليه من يشتري منه، فإن جاء كافر ليناظر... خرج إليه من يناظره.

فرعٌ: **جوَّز ابنُ كجٍّ للطبيب الذِّمي دخول الحرم، ونصُّ الشافعي يعارضه**؛ فإنَّه منع دخول الطبَّيب والصَّانع في البناء وغيره.

قال إبراهيم المرورذي: والمعنى في منع المشركين من الحرم: أنهم

أخرجوا النبي ﷺ منه، فعاقبهم الله بالمنع من دخوله بكل حالٍ».

١١ ـ قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في «الفتح» (١٧١/٦) بعد ذكر الأقوال التي نقلها البغوي وغيره مما تقدم في (جزيرة العرب): «وسميت جزيرة العرب: لإحاطة البحار بها، يعني بحر الهند وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الحبشة، وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم، **لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب؛ لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب، هذا مذهب الجمهور**، وعن الحنفية يجوز مطلقاً إلا المسجد، وعن مالك يجوز دخولهم الحرم للتجارة.

وقال الشافعي: لا يدخلون الحرم أصلاً إلا **بإذن الإمام** لمصلحة المسلمين خاصة».

١٢ ـ ونقل الحافظ بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ) في «عمدة القاري» (كتاب الجهاد والسير/ باب جوائز الوفد) (٢٩٩/١٤) نحواً من كلام ابن حجر، وزاد نقلاً مهماً وهو قوله:

«وهاهنا فرعٌ ذكره في «التوضيح»: **وهو يمنع كل كافر عندنا وعند مالك من استيطان الحجاز، ولا يمنعون من ركوب بحره**، ولو دخل بغير **إذن الإمام** أخرجه وعزره إن علم أنه ممنوع، فإن استأذن في دخوله **أذن الإمام أو نائبه** فيه، إن كان مصلحة للمسلمين، كرسالة وحمل ما يحتاج إليه.

وعن أبي حنيفة: جواز سكناهم في الحرم، ويمنع دخول حرم مكة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾، والمراد به هنا: جميع الحرم، وقال ﷺ: «**إن الشيطان أيس أن يعبد في جزيرة العرب**»، فلو دخله ومات لم يدفن فيه، وإن مات في غير الحرم من الحجاز وتعذر نقله دفن هناك.. قلت ـ أي العيني ـ مذهب أبي حنيفة أنه لا بأس بأن يدخل أهل الذمة المسجد الحرام؛ لأن النبي ﷺ أنزل وفد ثقيف في مسجده وهم كفار، رواه أبو داود، والآية محمولة على **منعهم أن**

يدخلوها مستولين عليها ومستعلين على أهل الإسلام، من حيث التدبير والقيام بعمارة المسجد، فإن قبل الفتح كانت الولاية والاستعلاء لهم، ولم يبق ذلك لهم بعد الفتح، أو هي محمولة على كونهم طائفين الكعبة حال كونهم عراة كانت عادتهم في الجاهلية».

وتنظر مسألة دخول الكفار الحرم: في «المغني» (٢٤٥/١٣ ـ ٢٤٦)، و«البيان» (٢٩٤/١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٠٤/٨ ـ ١٠٦).

هذا ما تيسر التذكير به عن هذه الأحاديث، وبذلك يظهر للمنصف البُعدُ بين فهمِ أهل العلم لهذه الأحاديث، وبين فهم الخوارج لها!! ومن ذلك:

أنَّ المراد بجزيرة العرب بعضها، كما تقدَّم.

وأنَّ الإذن لهم بالدُّخول للحجاز هو من حقِّ الإمام أو نائبه، وذهبَ بعض أهل العلم إلى أنَّ ذلك أيضاً لآحاد الناس من المسلمين.

وأيضاً لم يذكر أحدٌ من أهل العلم أنَّ إخراجهم هو قتلهم أو أسرهم! أبداً، وإنَّما عدمُ تمكينهم من استيطان الحجاز!! ولهم الاستيطان في غيرها! وأنَّ البحرَ لا يأخذ حكم البرِّ!

وغير ذلك من المفارقات الواضحة ـ لمن تأمل ما نقلتُه ـ بين فهوم أهل النَّظر والأثر، وبين فهوم أهل الجهل والهوى!!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «نونيته» (٢٧٨/٢ ـ مع شرحها توضيح المقاصد):

تباً لكم لو تعقلون لكنتمُ ... خلف الخدور كأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله ... والوحي والمعقول بالبرهان
ما عندكم إلا الدعاوى والشكا ... وى أو شهادات على البهتان
هذا الذي واللَّه نلنا منكمُ ... في الحرب إذ يتقابل الصفان
واللَّه ما جئتم بقال الله أو ... قال الرسول ونحن في الميدان

إلا بجعجعة وفرقعة وغمغمة ... وقعقعة بكل شنان
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله ... أنتم بحاصلكم أولو عرفان
وبحقكم تحموا مناصبكم وأن ... تحموا مآكلكم بكل سنان
وبحقنا نحمى الهدى ونذب عن ... سنن الرسول ومقتضى القرآن

وقال أيضاً (٢/٣٨٣):

والجهلُ داءٌ قاتلٌ وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان
نصٌّ من القرآن أو من سنَّةٍ ... وطبيب ذاك العالم الربَّاني

إلى أن قال:

واللَّه ما قال امرؤ متحذلقٌ ... بسواهما إلا من الهذيان

وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وَهُو شَهِيْدٌ، وصلَّى الله علَى نَبِيِّنَا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه
عبدالله بن عبدالرحمن البخاري ـ كان الله له ـ
المدينة النَّبوية/قباء
في ١٤٢٦/٦/٥هـ

الفهارس

١ ـ فهرس الآيات.

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار.

٣ ـ فهرس الموضوعات.

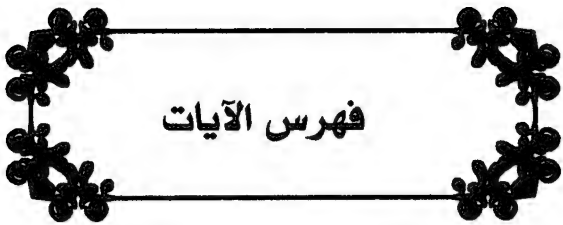

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾	٣٣
﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	٦٣، ٦٧، ٦٨
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	١٩
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾	١٧، ٤١
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	١٩
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾	١٩
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾	٣٢
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٩
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٣٦
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾	٢٩
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾	٦١
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٦٧
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	١٨
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾	١٩، ٢٠
﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾	٢٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾	٢٥
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾	٣٦
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾	٢٠

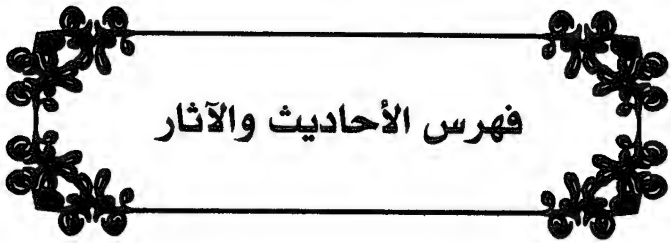

الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ أخر ما تكلم به النبي ﷺ: أخرجوا يهود	٥٨
ـ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٥٦، ٦٤
ـ أخرجوا اليهود من الحجاز	٦١، ٦٤
ـ إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به	٣٠
ـ إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة	٣٠
ـ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة	٢٢
ـ استعينوا على الحفظ بترك المعصية	٢٧
ـ اعمل قبل أن لا تستطيع أن تعمل	٣١
ـ الزم الحق يلزمك الحق	٤٣
ـ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	٢٥
ـ أنّ رسول الله ﷺ رأى امرأةً فأتى امرأته	٣٥
ـ إنّ الشيطان أيس أن يعبد في جزيرة العرب	٦٨
ـ إنّ عمر كان رشيداً في فعله	٦١
ـ إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	٥٢
ـ إنّ من أشراط الساعة أن يقل العلم	٥٢
ـ إنّ المؤمن أحسن الظن بربه	٢٨
ـ أنّ يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله	٥٧
ـ إني لأحسب الرجل ينسى العلم	٢٦
ـ أو مخرجي هم	٤١

الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ بينا أنا نائم أوتيت بقدح لبنٍ	٢١
ـ تعلموا تعلموا فإذا علمتم فاعملوا	٢٧
ـ تعلموا العلم واعقلوه	٢٨
ـ تعلموا قبل الظانين	٢٣
ـ جاء زيد بن حارثة يشكو	٣٧
ـ خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً	٥٤
ـ خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث	٢٢
ـ الذّبّ عن السنة أفضل من الجهاد	٤٤
ـ سألت سعيد بن جبير قلت ما علامة هلاك الناس	٥٣
ـ العلم إن لم ينفعك ضرك	٢٨
ـ العلم علمان فعلم في القلب	٢٨
ـ العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ	٤٧
ـ العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه	٢٤
ـ العلماء ورثة الأنبياء	١٥
ـ قولوا خيرا تعرفون به	٢٦
ـ كان سلمة يماري ابن عباس فحرم بذلك خيراً كثيراً	٤٥
ـ كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه	٢٢
ـ كل صاحب صناعة لا يقدر أن يعمل	٢٣
ـ كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل	٢٧
ـ كنا نستعين على طلب الحديث بالصوم	٢٧
ـ لا تتركوا اليهود والنصارى بالمدينة فوق ثلاث	٦٧
ـ لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً	٢٦
ـ لا تمار من هم أعلم منك	٤٥
ـ لا يجتمع دينان في جزيرة العرب	٦١، ٦٤
ـ لأخرجن اليهود من جزيرة العرب	٦١
ـ لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٥٧، ٦٤
ـ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك	٢١

الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ لئن عشتُ إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصار	٥٧
ـ لم أصل الفريضة قط منفرداً	٣٠
ـ ما أحدث أحد في العلم شيئاً إلا سئل عنه	٢٣
ـ مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة	٣٠
ـ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	٢٠
ـ الناس كلهم مني في حلٍّ خلا شعبة	٤٩
ـ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس	١٧
ـ وإنّ العلماء ورثة الأنبياء	٤٠
ـ يا ابن آدم لا تغترّ بقول من يقول: المرء مع من أحب	٤٨
ـ يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من سمعي	٣٩
ـ يا ليتني كنت فيها جذعاً	٤١

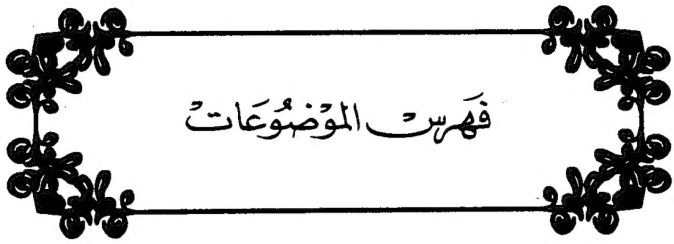

الموضوع	الصفحة
● **تقريظ الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي**	٥
● **تقريظ الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي**	٧
● **مقدمة المؤلف**	٩
- ذكر اسم هذه المقالات	١٣
- **المقالة الأولى**: مشاركة توجيهية لعلاج ظاهرة الفكر التكفيري	١٤
- سبب كتابة المقالة	١٤
- بيان الحق للخلق هو مهمة الرسل عليهم السلام	١٤
- توجيه الأمة لا يكون إلا لأهل العلم	١٥
- وجوب ارتباط الأمة بعلمائها الربانيين	١٥
- محبة العلماء من الدين وبغضهم مناف للدين	١٦
- تمكين أهل العلم من بيان الإسلام الحقيقي	١٦
- التحذير الصريح من التيارات الفكرية المنحرفة	١٧
- اشغال الشباب بالنافع المفيد	١٧
- **المقالة الثانية**: فضل العلم وشرف أهله	١٨
- ذكر النصوص من القرآن في بيان ذلك	١٨
- بيان أن من أجل النعم الكتاب والحكمة	١٩
- تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾	١٩
- تفسير عبدالرحمٰن بن سعدي لنفس الآية المذكورة	١٩
- ذكر الدليل على فضل العلم وشرف العلماء	١٩

الموضوع	الصفحة
ـ تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾	١٩
ـ بيان الفرق بين صيد الكلب المتعلم وصيد الكلب الجاهل	٢٠
ـ ذكر النصوص من السنة في بيان فضل العلم	٢٠
ـ ما أثر عن السلف في فضل العلم	٢٢
ـ **المقالة الثالثة**: في العمل بالعلم	٢٥
ـ ذم من لا يعمل بما علمه	٢٥
ـ تفسير معنى المذابيع والبذر	٢٦
ـ علم القلب وعلم اللسان	٢٨
ـ كلام ابن رجب في بيان العلم النافع والعلم الضار	٢٨
ـ نقل من ما يؤثر في تراجم الأئمة في هذا الباب	٣٠
ـ نقل من كتاب الصلة في ترجمة يحيى بن مالك بن عائذ	٣١
ـ من ترجمة عبدالرحمٰن بن أبي نعم البجلي	٣١
ـ من ترجمة يزيد بن شجرة	٣٢
ـ خاتمة من كلام الخطيب البغدادي في وصية طالب العلم	٣٢
ـ **المقالة الرابعة**: من سلسلة الذب عن سنة رسول الله ﷺ	٣٣
ـ بيان مكانة أهل الحديث وأئمة السنة	٣٣
ـ تنبيه على خطأ وقع فيه كثير من العلماء	٣٥
ـ تخطأة القرطبي في قوله: وكان إذا أعجبته امرأة فرغب فيها حَرُم على زوجها إمساكها	٣٦
ـ جمع من العلماء عد هذه المسألة من خصائصه ﷺ	٣٦
ـ ذكر المصادر التي ذكرت أقوال العلماء في هذه المسألة	٣٦
ـ إبطال ذلك القول من عدة وجوه	٣٦
ـ الوجه الأول وفيه أن الخصائص لا تثبت إلا بدليل صحيح	٣٦
ـ الثاني لا دليل على عد هذه المسألة من خصائصه ﷺ	٣٧
ـ الثالث فيه عدم صحة الاستدلال بقصة زيد بن الحارثة	٣٧
ـ ذكر قصة زيد برواية السدي عند ابن أبي حاتم	٣٧

الموضوع	الصفحة

- تصحيح ابن حجر لرواية السدي ٣٨
- رد الاستدلال بما جاء في بعض الروايات (إنه رآها فوقعت في قلبه) .. ٣٨
- الرابع وفيه رد بعض أهل العلم القول بأن هذه خصيصة ٣٨
- الخامس وفيه ما يدل على ضد هذه المسألة ٣٨
- خطبة النبي ﷺ لأم سلمة وأنها اعتذرت ثم قبلت ٣٩
- خطبة النبي ﷺ لهند بنت أبي طالب واعتذارها ٣٩
- لم يأت في طريق صحيح أنّ المرأة التي رآها النبي ﷺ حرمت على زوجها ٣٩
- تأييد العلامة عبدالمحسن العباد لكلام المؤلف في هذه المسألة ٣٩
- **المقالة الخامسة**: من سلسلة الذب عن سنة رسول الله ﷺ ٤٠
- الذب عن أحد حملة سنة النبي ﷺ ٤٠
- قصة ورقة بن نوفل مع النبي ﷺ ٤١
- شرح حديث الغرباء من كلام ابن القيم ٤١
- ذكر أنواع الغربة ٤١
- النفير من أهل السنة هو مسلك أهل البدع ٤٣
- من طرق أهل الأهواء تقبيح فتاوى العلماء ٤٣
- الرد على أهل البدع من أعظم أنواع الجهاد ٤٤
- من العلماء العاملين المجاهدين الشيخ ربيع المدخلي ٤٥
- ثناء العلماء على الشيخ ربيع ٤٥
- كلام الألباني في الشيخ ربيع ٤٥
- كلام ابن عثيمين في الشيخ ربيع ٤٦
- ثناء الصنعاني على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٤٧
- بيان من هم الراسخون في العلم من كلام الشاطبي ٤٧
- تذكرة لمن نال من الشيخ ربيع ٤٨
- ذكر ما جرى بين الحسن بن عمارة وشعبة ٤٩
- **المقالة السادسة**: من سلسلة الذب عن سنة رسول الله ﷺ ٥١
- رد شبهة تثار على فهم بعض أحاديث رسول الله ﷺ ٥١

الموضوع	الصفحة

- من أشد الفتن في هذا العصر فتنة الخوارج ٥١
- ذكر أسباب تقوية أهل البدع ٥٢
- ذكر كيفية رفع العلم ٥٢
- النكات العلمية التي لفت إليه الحافظ ابن حجر في حديث أنس ٥٣
- مناظرة ابن عباس للخوارج ٥٥
- الإمام أحمد يسجن ويجلد ويعذب ٥٥
- تفسير أهل الأهواء لحديث إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب . ٥٥
- بيان طريقة المؤلف في إيراد الأحاديث والكلام عليها ٥٦
- الحديث الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ٥٦
- ذكر فائدة الألباني من حديث ابن عباس ٥٧
- الحديث الثاني: لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٥٧
- الحديث الثالث: أن يهود بني قريظة حاربوا رسول الله ٥٧
- الحديث الرابع: أخرجوا يهود أهل الحجاز ٥٨
- التعليق على الأحاديث المذكورة ٥٨
- ذكر بعض الإيرادات على تلك الأحاديث والإجابة عنها ٥٨
- بيان المراد بجزيرة العرب في تلك الأحاديث ٥٩
- بيان سبب إجلاء عمر لليهود ٦٠
- قول الشافعي: لا يمنع أهل الذمة من ركوب بحر الحجاز ٦٢
- فتوى لشيخ الإسلام في جزيرة العرب ٦٥
- ذكر المراجع في مسألة دخول الكفار الحرم ٦٩

- **الفهارس** ٧١
- **فهرس الآيات** ٧٣
- **فهرس الأحاديث والآثار** ٧٤
- **فهرس الموضوعات** ٧٧